عبد الحميد جوده السحار

مطبوعات مكتبة مصر

الحفيد

تأليف

عبد الحميد جوده السحار

الناشر: مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"
سعيد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع [illegible]

— ١ —

فى سكون الليل انسل حسين الى غرفة النوم وهو يترنح من التعب ، كان يرتدى بذلته السوداء وهى البذلة الوحيدة التى يملكها ولا تزال تحتفظ برونقها : فهو لا يرتديها الا فى المناسبات الهامة . وهل هناك مناسبة أهم من حفل زفاف ابنته الثانية ؟

انه فى ليلة زفاف أحلام سقط مغشيا عليه لما أقبل عليه شفيق وفى يده نبيلة وقال له : « أنا جاى يا عمى أطلب منك نبيلة » ، فما كان بقادر على أن يحتمل فكرة أن يقاسى ما قاساه من متاعب حتى زفت أحلام الى جلال . انها متاعب هدته هدا وجعلته يضيق بكل من حوله وما حوله . ولكن ما ان قال له شفيق أنه يريد نبيلة .. يريدها بحقيبة ملابسها حتى أفاق من غشيته . وقد صدق شفيق وعده فقد جاء بالمأذون وفى حفل متواضع تم كل شىء .. عقد القران وأخذ زوجه وانصرف .

وعلى الرغم من أن الحفل اقتصر على أفراد الأسرتين فقد كان شيئا مرهقا ، لقد وقف طوال النهار يشرف على

اعداد المائدة التى أعدت اكراما للعريس الذى أظهـــر من الشهامة ما أثلج صدره ، ويذب عنها عادية أولاده سوسن وعاطف وهالة ــ التى عرفت المشى ــ فكانت تذهب الى مفرش المائدة المتدلى على جانبيها وتجذبه بكل قوتها •

ان زوجته زينب لم تسمح للعروسين بالانصراف قبل أن ينتصف الليل . فلما دقت الساعة المتواضعة المعلقة فى الصالة الثانية عشرة نظر شفيق الى حماته مستعطفا : فاذا بالدموع تنهمر من عينيها وتقول فى صوت مخنوق بالعبرات :

ــ خلى بالك منها يا شفيق •

ــ دى فى عنىّ يا تنت •

وخرج شفيق وقد أخذ ذراع نبيلة تحت ابطـــه وذهبت زينب والأولاد خلفهما لوداعهما ؛ وانسل هو الى غرفة النوم يترنح حتى اذا ما بلغ السرير ارتمى عليه بملابسه وراح يملأ رئتيه بهواء يشده بأنفه شدا والزغاريد تدوى فى أذنيه •

وميز زغرودة من بين الزغاريد ؛ انها زغرودة سامى • وهم بأن يقوم لينهره فما أصبح يليق بطالب قد عرف طريقه الى الجامعة أن يزغرد • الا أن تعبه جعله يعرض عن رغبة القيام وتعكير دمه فى شخط ونطر وهو يريد أن يستريح وأن يستريح طويلا •

ودخلت زينب الغرفة وهى فى ثوب السهرة • انه ثوب

غير ذلك الثوب الذى حضرت به زواج أحلام ، لقد أصرت على أن تشترى ثوبا جديدا لفرح نبيلة ، ثوبا يليق بالمصاهرة الجديدة وما كان له الا أن يخضع •

ورأته ممدودا فى السرير بملابسه فتقدمت منه وراحت تخلع له الحذاء وهى تقول مداعبة :

ــ أهو دلوقت لك حق تستريح •

فقال وهو يحاول أن يخرج تعبه مع زفراته :

ــ هى فين الراحه دى ؟



ـــ ح تستريح كتير •• كتير قوى لغاية سوسن ما تكبر وتجوزها •

وكانت قد خلعت له حذاءه فذهبت تعاونه على أن يجلس فى السرير لتخلع عنه جاكتة البذلة ، فقال وهى ترفعه :

ـــ هو انا لسه ح اعيش لما اجوز سوسن •• البركا فيكم بقى •

فقالت وهى تخلع عنه الجاكتة :

ـــ والله ما حد ح يجوزها غيرك •• هو احنا لنا قيمه من غيرك •

وراحت تفك الكرافتة وتعاونه على خلع القميص ، فلما صار القميص فى يديها اذا بفانلته مرصعة بدوائر فارغة •• فقالت فى انكار :

ـــ بقى دى فانله تلبسها يا حسين ! غيها ايه لو تشترى لك كام فانله ؟

وأخذت تفك الحزام الجلد المثبت للبنطـــلون ثم أزرار البنطلون ، وقال :

ـــ منين يا حسره ؟ ! هو انا قادر اتلم علي قرش • حقك يا زينب تمسكي ايدك شويه ، لسه ورانا كتير •

تتوقف عن فك أزرار البنطلون وتلتفت اليه فى شىء الغضب :

ـ يعنى شايفنى عماله أبعثر الفلوس شمال ويمين • والنبى لولا تدبيرى ما كنا قدرنا نعيش •

وصمت وكست وجهه موجة من الأسى • انه لا يريد أن يثير الزوابع ، كل ما كان يريده أن ينام •• أن يستريح • وفطنت زينب الى ما اعتراه فأرادت أن تخفف عنه فقالت :

ـ والنبى يا حسين ما تحمل هم ، ربنا كبير •• الأيام اللى جايه ح تفوت زى الأيام اللى راحت • كنت باقول لك دايما رزق البنات ورا الباب ما كنتش بتصدقنى • جالك كلامى بقى ؟



وراحت تخلع البنطلون وحسين يقول :

ــ دا ربنا سترها بكرمه •

فقالت له وهى تتجه الى الشماعة لتعلق البنطلون وتعود بالبيجاما :

ــ ح يسترها على طول •

وعادت وقد وضعت جاكتة البيجاما على كتفها وأخذت تعد البنطلون لتدس رجليه فيه ، واستراح الى ذلك التدليل الذى قلما استمتع بمثله طوال حياته الزوجية ، فرفع ساقه فى الهواء فتقدمت زينب وغطتها باحدى رجلى البنطلون . فأنزل الساق المرفوعة ورفع الساق الأخرى وهو يستشعر كأن أنامل رقيقة حانية تدغدغ عواطفه وان كان كل جسمه ينبض بالتعب •

وانتهت من الباسه بنطلون البيجاما فجلس فى السرير ورفع ذراعيه كطفل طيب يحاول أن يعاون أمه على الباسه ملابسه . فما أن أدخلت ذراعيه فى كمى الجاكتة حتى استلقى على ظهره منهوكا والنوم يثقل جفنيه فيسدلهما على عينيه •

وزررت له أزرار الجاكتة ثم مالت عليه وقبلته قبلة خاطفة وقالت له :

ــ تصبح على خير • نوم العوافى • عايز حاجه قبل ما تنام ؟

وذهبت لتخلع ثوبها فاذا به يقول وهو يتثاءب :

ــ عايز استريح ومش عايز حد يصحينى ولو الدنيا ادربكت •

وما أن انتهى من كلامه حتى جاءت من الغرفة المجاورة أصوات ثائرة • انها أصوات أبنائه وكان من الواضح أنهم يتشاجرون ، فهب من سريره وانطلق غاضبا الى مصدر الصوت وكان آتيا من غرفة أحلام ونبيلة ، فدخل اليها كالعاصفة • وأتت زينب خلفه مهرولة مفزوعة تسأل :

ــ فيه ايه يا مقاصيف الرقبة ؟

رأى سوسن واقفة فى وسط سرير أحلام ، وعاطف واقفا فى سرير نبيلة عند رأس هانئة التى نامت وقد انحسر ثوبها عنها حتى كشف بطنها ، انها غارقة فى سبات عجزت الضجة من حولها عن أن توقظها أو تجعلها تتململ فى رقادها • ورأى سامى هائجا يمد يده لينزع سوسن من فوق السرير ، فلما سمع صوت أبيه يقول مستنكرا :

ــ ما شاء الله ••

أعاد ذراعه الممدودة وأطرق ينتظر قضاء أبيه ، فأسرعت سوسن تقول :

ــ الحق يا بابا • سامى ومراد عايزين ياخدوا أودة أحلام ونبيله بعد ما اتجوزوا •• مش الأوده دى للبنات ؟

فقالت زينب :

ـــ ومن قال غير كده ؟

فقالت سوسن فى انتصار :

ـــ سامى •

فتقدم مراد وقال :

ـــ الأوده دى ما حدش ح ياخدها الا أنا وسامى . سامى بقى فى الجامعه عايز يذاكر فى هدوء ، وأنا عايز برضة أذاكر •

فقالت سوسن فى تحد :

ـــ من فلاحتك قوى ؟ !

فقال لها حسين ينهرها :

ـــ عيب يا بنت •

ثم التفت الى سامى وقال :

ـــ الأوده دى للبنات •

فقال سامى متفلسفا ليظهر علمه واعتراضه :

ـــ آدى اللى خدناه من قاسم أمين •

ـــ وايش حشر سى قاسم أمين جوز عمتك فى الموضوع ده ؟ الراجل مسافر بره بقاله سنين •

فيلتفت حسين الى زوجته ويقول شارحا :

ـــ قاصده قاسم أمين محرر المرأة •

فقالت زينب معترضة ضائقة بهذا الزعم :

ـ ما هي طول عمرها حره •

فقال مراد :

ـ ما هو اللى تخن ودان الستات ، خلاهم يتعروا فى الشوارع ويتعلموا ويتوظفوا ويتزنقوا فى الأتوبيسات •

فراحت زينب تلكزه فى صدره بقبضتها :

ـ اخرس يا قليل الأدب •

فلم يعجبه أن تحجر أمه على رأيه فقال فى انفعال :

ـ هى كل حاجه فى الدنيا بقت للستات ؟ ! والله لما أكبر لا أنا عامل جمعيه تطالب بحقوق الرجاله •

فقال عاطف دون قصد :

ـ وانت مالك ومال الرجاله ؟

فاستشاط مراد غضبا ولولا أجود أبويه لضربه ، فراح يتوعده من بعيد وعاطف يهزأ بوعيده ؛ كانت العيون وملامح الوجه والشفاه هى أدوات التعبير الصامت التى ما كان للأبوين عليها سلطان •

ودار سامى على عقبيه لينصرف غاضبا من ذلك القرار الجائر ، وذهبت زينب لتغطى هالة ، وفطن الأب الى ضيق ابنه بقراره فقال :

ـــ سامى : تعال نتفاهم انت ما بقتش صغير •

فعاد سامى الى حيث وقف أبوه وان ظل مطرقا لا يرفع عينيه عن الأرض • قال حسين :

ـــ شوف يا سامى يا بنى ، ان واحده من اخواتك جت هى وجوزها حبوا يباتوا عندنا يباتوا فين ؟

فقال عاطف فى حماس :

ـــ يباتوا معايا ••

فجذبته أمه من رقبته وهى تقول :

ـــ ما بلاش غلبه ولم لسانك ده اللى عايز قطعه •

وقال مراد وقد فطن الى ما يرمى اليه أبوه :

ـــ وايه اللى حيخليهم يباتوا عندنا ؟

ـــ الظروف يا بنى بتحكم . ان جم يباتوا عندنا ما فيش غير الأوده دى يباتوا فيها ، وساعتها ناخذ سوسن وهاله فى أودتنا • فهمت يا سامى ؟

فرفع سامى رأسه ونظر الى أبيه فى رضا وقال :

ـــ فهمت يا بابا •

وانسل سامى الى غرفته وقد أخذ عاطف فى يده ، وتمددت سوسن فى سرير أحلام وقد أركبت ساقا على ساق وهى تستشعر نشوة الانتصار ، وذهب حسين الى غرفته وتبعته

زينب . وبقي مراد ينظر الى سوسن فى غيظ فلما رأته قالت فى شيطنة :

ــ يحيا قاسم أمين محرر المرأة .

فأسرع اليها مراد وأخذ اللحاف ليكتم به أنفاسها . فاذا بها تهم بالصياح :

ــ يا ماما .

ففزع مراد وألقى اللحاف من بين يده وفر مرعوبا الى غرفة البنين .

— ٢ —

وقفت زينب فى المطبخ تغسل الصحاف التى تناولوا فيها الغداء ، وجلس حسين يقرأ الصحف فى الشرفة . واجتمع الأولاد حول الراديو يسمعون اذاعة وصف احدى مباريات كرة القدم ، واذا بعاطف ينسل الى المطبخ ويقول لأمه :

— رايح اتفرج على الكوره فى التلفزيون عند الجيران .

فقالت له :

— بس ما تتشاقاشى .

وعرف أن ذلك تصريح له فراح يهرول خارجا ، فلقيته سوسن فقالت له :

— على فين ؟

— ح اتفرج على الكوره فى التلفزيون .

فانطلقت سوسن الى أمها وقالت لها :

— ح أروح مع عاطف .

فقالت زينب وهى مستمرة فى عملها :

— لأ .

فذهبت سوسن الى الشرفة حيث جلس أبوها وقالت :

ــ بابا ح اروح مــع عاطف اتفــرج على المــاتش فى التلفزيون •

فقال لها دون أن يرفع عينيه عن الصحيفة التى كان يقرأ فيها :

ــ قولى لماما •

فعادت الى أمها وقالت لها :

ــ يا ماما أروح مع عاطف •

فقالت زينب فى غضب :

ــ قلت لأ يعنى لأ •

فقفلت سوسن عائدة الى أبيها وقالت :

ــ يا بابا ح اروح مع عاطف •

ــ قلت لك استأذنى من ماما •• أنا ماليش دعوه •

فقالت سوسن لتثير كرامته :

ــ انت عايز تقول انها بتمشى كلامها عليك !

ــ يا سوسن لازم تعرفى ان هى المسئوله عن البيت ده •

وانسحبت وهى تستشعر أن أباها قد خذلها ، وعادت الى المطبخ وقالت لأمها فى توسل :

ــ والنبى يا ماما أروح مع عاطف •

فأخذتها زينب بين يديها وهزتها فى عنف وهى تقول لها فى غضب :

ــ هو أنا ميت مره ح اقول لأ •

فانطلقت غاضبة الى حيث جلس أبوها وقالت منفجرة :

ــ مش ح تطلق الست دى بقى وتريحنا •

ونحى حسين الصحيفة بعيدا ونظر الى سوسن وهو يتصنع الغضب وان كانت كل ملامحه تفصح حقيقة ما يحسه من انبساط ، وقال :

ــ انت عارفه لو ماما سمعتك ح تعمل فيكى ايه ؟

ــ عارفه •

ــ طب وقولتى كده ليه ؟

ــ طهقت •

وخرجت زينب من المطبخ فرأت سامى ومراد ينصتان الى الراديو فى اهتمام ، فوقفت ترنو اليهما فى حنان ثم قالت :

ــ بقى لو كان الماتش بيتذاع م التلفــزيون مش كان أحسن •

فقال مراد بسخرية :

ــ لو •• هو فين التلفزيون ده ؟

ــ اطلبوا من بابا يجيب لكو تلفزيون •

فقال سامى فى انكار :

ـــ هو ده معقول ؟

ـــ مش معقول ليه ؟ هو بابا عمره اتأخر لكو على حاجه •

فالتفت مراد الى سامى وقال له :

ـــ روح يا سامى قول لبابا يجيب لنا تلفزيون •

ـــ ما تروح انت •

ـــ لأ •• انت أكبرنا ما يصحش اتقدم عليك •

ـــ أنا ياسيدى متنازل لك عن حقى ده •

فنهض مراد وراح يلملم شجاعته وذهب الى حيث كان أبوه وأمه ترقبه من بعيد ، كان حسين قد أجلس سوسن على ركبتيه وكان يحاورها وكان حديثها فيه ذكاء جعل نفسه تصفو وقد انعكس صفاء وجدانه على صفحة وجهه . فلما قرأ مراد الرضا فى ملامح أبيه شد ذلك أزره فقال :

ـــ بابا •

ـــ نعم يا مراد ؟

ـــ عايزين تلفزيون •

وأحس مراد كأنما أزاح جبلا عن صدره ، ولكن سرعان ما انكمش لما سمع أباه يقول فى غضب :

ـــ بلاش مسخرة •

وكأنما فتح أمام سوسن بابا لم يخطر لها على بال فقالت ·

ـ مش ده يا بابا أحس ما نروح عند الجيران •

وأنزلها من على ركبتيه وقال لها :

ـ روحى بلاش غلبه •

ورأت زينب أن الوقت أصبح مناسبا لظهورها على مسرح الأحداث . فدخلت عليهم وهى تتظاهر بالبراءة وقالت :

ـ فيه ايه ؟

استراح حسين لدخولها ولم يدر أنها القشة التى يتعلق بها الغريق فقال كأنما يلوذ بها ويلتمس منها العون :

ـ تعالى شوفى ولادك عابزين ايه ؟

ولحق سامى بهم واذا بسامى ومراد وسوسن يقولون فى صوت واحد :

ـ تلفزيون •••

وفى فزع يلتفت حسين الى زوجه ويقول كأنما يستغيث بهـا :

ـ عاجبك كده ؟

فقالت زينب فى هدوء :

ـ ربنا يخليك لهم •

وأحس أنها خذلته فقال فى ثورة :

ـ يخلينى ؟ ! وحجيب منين ؟

لمعت فى ذهن سامى فكرة فقال :

ـــ نشتريه بالتقسيط •

وقال مراد :

ـــ بالتقسيط المريح •

والتفت اليه الأب وقال ساخرا :

ـــ بالتقسيط المريح ؟ وندفع القسط منين ؟

فقالت سوسن :

ـــ من مصروفنا •

وقال مراد مؤيدا :

ـــ من مصروفنا •• مش كده يا سامى ؟

فقال سامى وهو يهز رأسه موافقا :

ـــ كلنا موافقين طبعا •

ولم يشأ حسين أن يهزم فقال :

ـــ نفرض اننا ح نوافق على الكلام الفارغ اللى بتقولوه ده ، طب المقدم ندفعه ازاى ؟

وحسب الرجل أنه وضعهم أمام مشكلة ؛ فاذا بالزوجة تقول :

ـــ أنا عامله جمعيه مع الجيران وقبضتها •

فقال مراد فى فرح :

ـــ برافو يا ماما ، يا أحسن ماما فى الدنيا •

وأسقط فى يد الزوج فقال غاضبا •

ــ لا . دي مؤامره •

وأيقنت زينب أن كل شىء قد أحكم فقالت وهى تنسحب الى الداخل :

ــ أنا مالى •• ولادك عندك اتصرف فيهم •

وغادرت زينب المكان فالتفت حسين الى أولاده وقال :

ــ والمذاكرة ؟ !

ــ قبل الامتحانات بتلات شهور ما حدش ح يفتح التلفزيون خالص •

وقال سامى مردفا :

ــ ده وعد شرف •

فقال حسين وهو يغادر الشرفة :

ــ ده كلام فارغ •• دى مســـخره •• التلفـــزيون مش ح يدخل البيت ده أبدا طول ما أنا عايش •

– ٣ –

وضع التلفزيون فى الصالة والتف الأولاد حوله وقد ارتسم البشر فى وجوههم . وراحت زينب ترنو اليهم فى فرح فقد نجحت فى أن تحقق لهم أمنية غالية . وما شذ عنهم سوى هالة ، كانت تداعب عروسة صنعتها لها أمها من خرقة بيضاء وبعض القش الذى تجمع لديها .

كان التلفزيون يعرض فيلما أجنبيا فلم يستحوذ على كل انتباههم بل ترك لهم فرصة الحديث والحوار ، قال مراد :

– والله أنا أقدر أخلى التلفزيون ده سكوب .

فقالت زينب فى سخرية :

– أيوه ، خسره زى ما خسرت الراديو .

فقال مراد مدافعا عن نفسه :

– الحق على اللى صلحته لكم .

فقالت زينب فى مرارة :

– كتر خيرك ، مش عايزينك تصلح حاجه .. ريح نفسك

وريحنا •• تعرف لو تلعب فى التلفزيون مش ح يحصلك طيب •

ورن جرس الباب الخارجى فنهضت سوسن وقالت في فرح :

ــ بابا •• بابا •

وجرت الى الباب وفتحته ، وما كاد يخطــو الى الداخل خطوة حتى قالت له فى انشراح وهى تجذبه من يده :

ــ تعال اتفرج على التلفزيون •

ودخل على الأولاد وقد جلسوا يتابعون الفيلم فألقى عليهم نظرة ارتياح وقال :

ــ السلام عليكم •

ولم يرد عليه أحد السلام بل قال له عاطف :

ــ هش •

وفى صمت أفسحت زينب له مكانا الى جوارها فتقدم وجلس ، وأدار عينيه فى المكان فلمح هالة تلعب بعيدا فقال فى عتاب :

ــ هى هاله بس اللى مالهاش نفس !

وذهب الى حيث كانت هالة وحملها فى حنان وقبلها ثم عاد وأجلسها فى حجره وراح يوجه نظرها الى التلفزيون ، فاذا

بالطفلة ترتجف وتصرخ فى فزع ، ولفت خوفها أنظار اخوتها فانفجروا يضحكون •

ونهضت زينب وأخذت الطفلة وضمتها الى صدرها تسكينا لروعها وراحت تهدهدها وتقول لها فى حنان دافق :

ــ اسم الله •• ما تخافيش يا روحى •

واستكانت الطفلة فى حضن أمها ، وكأنما عز على زينب أن تظل واقفة فقالت :

ــ انتو مش ح تتعشوا ؟

فقال سامى :

ــ هاتى لنا العشا هنا •

ونظرت الى زوجها فاذا به يهز لها رأسه موافقا فقالت :

ــ تاكلوا ايه ؟

فقال حسين فى عدم اهتمام :

ــ اللى تجيبيه ، اللى عندك •

ــ انتو ح تحيرونى ! ما تقولوا تاكلوا ايه ؟

فقال مراد :

ــ بيض •

فقالت كما اعتادت أن تقول :

ــ هو كل يوم بيض ؟ هو انتو تعابين ؟

فقال حسين مؤيدا رأى مراد :

ـــ والله البيض ألذ م الفراخ •

ـــ أعمله لكم سندويتش ؟ !

فقال سامي معترضا :

ـــ لأ •• أنا احب اغمس •

وقال عاطف :

ـــ وانا •

ومدت يديها بهالة الى حسين وقالت :

ـــ طب خد بنتك على ما احضر العشا •

وذهبت الى المطبخ وعادت تحمل صينية عليها صفحة قلى فيها البيض وصحاف الجبن والزيتون وضعتها على منضدة صغيرة بينهم وبين التلفزيون • وراحوا يأكلون ويتابعون الفيلم • وأبت هالة أن يطعمها أبوها وأصرت على أن تأكل بيدها • وراحت تأكل فلما وجدت أن أصابعها قد تلوثت بالبيض تلفتت حولها فلم تجد أقرب من كرافتة أبيها تمسح فيها يدها ، فلم تتردد بل قبضت عليها وراحت تفركها بين أصابعها •

وفزع الأب وقال :

ـــ ايه ده ! •• ايه ده يا بنت ؟

وأحست هالة أنه ينهرها فبكت ، فما كان من زينب الا أن خطفتها منه وضمتها الى صدرها وهى تقول له :

ـــ خضيت البت •

فقال حسين وهو يحاول أن ينظف الكرافتة بمنديل أخرجه من جيب بنطلونه :

ـــ هو أنا لاقبها منها وانلا من سامى !

فقال سامى فى استياء :

ـــ وماله سامى راخر ؟

ـــ هو انت مخلينى أتهنى على كرافته •

ـــ حتى أنا ما بالبسى كرفتات •

ـــ ويوم الخميس والجمعه ؟

ـــ أيه يعنى يومين فى الجمعه •

وينظر حسين الى المنديل الذى اتسخ ويرى أن يغيره ، فيذهب الى غرفة النوم ويفتح الدرج الذى يضع فيه المناديل فيجده خاويا ، فيعود ثائرا ويقف عند الباب ويقول :

ـــ ولا منديل فى الدرج ! امال المناديل راحت فين ؟

فتقول سوسن دون أن تلتفت نحوه فقد كانت تحاول أن تتتبع الفيلم :

ـــ أنا شفت سامى وهو بياخد منديل الصبح •

فتقول زينب :

ـــ أنا حطه تلات مناديل مكويه بايدى •

فيقول حسين فى غضب :

ـــ طب الباقى راحوا فين ؟

فتقول سوسن فى بساطة :

ـ عاطف خد واحد وأنا خت واحد •• يعنى نروح المدرسه من غير مناديل ؟

فيقول حسين وقد خفت حدة غضبه :

ـ ما شاء الله ! •

ويذهب حسين ويجلس ليتابع القصة . وما كاد يستقر فى جلسته حتى قال له مراد :

ـ يا بابا انت مش ح تشترى لك شرابات ؟

فقال حسين فى هدوء :

ـ عندى شرابات كتير •

ـ لأ •• ما عندكش •

ـ وايش عرفك يا سى مراد ؟

ـ جيت آخد شراب الصبح ما لقيتش •

يلتفت حسين الى زينب فتحس أن فى نظراته عتابا ، فتسرع بالدفاع عن نفسها :

ـ والله شراباتهم ومناديلهم فى ادراجهم ، بس هم اللى عنيهم زايغه •

وساد الصمت ، كان يعرض على شاشة التلفزيون منظر غرامى • وخفق قلب حسين ، كان يرجو أن ينتهى المشهد سريعا ولكن المشهد طال وانتهى بقبلة بين البطل والبطلة • ومن طرف

عينيه راح يراقب أولاده .. رأى سوسن وعاطف قد أطرقا في خجل أما سامي ومراد فقد أخذا يتابعـان المشـهد بكل حواسهما . والتقت عينا حسين بعيني زينب وما لبث حسين أن نهض وانصرف الى غرفة النوم فقامت زينب وقلبها يدوى فى صدرها وخوف قد غمرها وتبعته ، فلما أحس دخولها قال لها فى عتاب :

ــ عاجبك كده ؟ عاجبك الخساره دى ؟

ــ خسارة ايه ؟ أنا ما أخفشى على ولادى : أنا ولادى مؤدبين ، شفت سوسن وعاطف عملوا ايه ؟ !

وراحت حوادث القصة تتابع على الشاشـة والأولاد يتتبعونها فى اهتمام ، فالقصة قد استولت عليهم وان كانوا لا يفقهون من الحوار الدائر بين الممثلين شيئاً .

وعاد البطل يقبل البطلة فاذا بعاطف يلكز سوسن بمرفقه ويقول فى انشراح :

ــ علقها !

— ٤ —

وقف حسين أمام المرآة يحلق ذقنه ، وسمع وقع أقدام بالقرب منه فالتفت فرأى مراد وفى يده صحيفة فقال :

ـــ هو الجرنال جه يا مراد ؟

ـــ أيوه يا بابا •

ـــ طب تعال اقرا لى صفحة الوفيات ، يمكن نعرف حد فيهم •

ففتح مراد صفحة الوفيات وتقدم حتى وقف الى جوار أبيه . وقبل أن يفتح فمه قال له حسين :

ـــ اقرا اللى مكتوب بالبنط الاسود كفايه •

فراح مراد يقرأ :

ـــ مجلس مدينة بلبيس •• مدرسة التجارة الثانوية بقطور •• الحرية الثانوية التجارية لابنات بشبين الكوم •• اللجنة النقابية للمعلمين ببندر بنها •• أسرة مدرسة النصر بطلخا •• معهد دمياط الأزهرى •• مدرسة سلامون قبلى للبنات •

ـــ أيه ده يا مراد •• باقول لك صفحة الوفيات مش صفحة التربية والتعليم !

ـــ ما هي دى يا بابا صفحة الوفيات . وده المكتوب بالبنط الاسود .

ـــ طب سيب الجرنال واتفضل انت .

وترك مراد الصحيفة وانصرف . وما كاد مراد يخرج حتى دخلت زينب وقالت فى هدوء :

ـــ أحلام وجوزها وحماها وحماتها . ونبيلة وجوزها جايين بتغدو عندنا يوم الجمعه .

وترك حسين الحلاقة والتفت اليها وقال :

ـــ مين اللى قال لك ؟

ـــ أحلام بعتت لى .

ـــ قالت لك انها هى واختها جايين فى يوم واحد ؟

ـــ أيوه .

ونظر اليها فاحصا ثم قال نافد الصبر :

ـــ والله إنت الى روحتى عزمتيهم .

ـــ أنا •• أبدا والنبى دنا يا دوب خطفت رجلى امبارح ورحت دفعت قسط التلفزيون .

ـــ وبعتت لك أحلام امتى ؟

ـــ امبارح العصر .

ـــ وما قابلتش بالليل ليه ؟

فقالت وهى تدور على أعقابها لتنصرف :

ـــ قلت ما انكدش عليك قبل ما تنام •

وقبل أن تنصرف جاء سامى وقال :

ـــ عايز تلاته جنيه •

ـــ تلاته جنيه •• ليه ؟

ـــ كتاب جديد نزل امبارح فى الكليه •

ـــ هو كل يوم ملازم جديده وكتاب جديد •

ـــ ما هى الجامعه كده يا بابا •

وجاء عاطف يعدو وقال :

ـــ عايز قرش •

فالتفت حسين الى سامى وعاطف وزينب وقال :

ـــ انتم مش قلتوا ندفع أقساط التلفزيون من مصروفكم •

فقال عاطف وهو يرفع كتفيه نافيا :

ـــ أنا ما قلتش •

وذهب حسين الى حيث علق بذلته وأخرج حافظة نقوده وأعطى سامى ثلاثة جنيهات فانصرف شاكرا ، وأعطى عاطف قرشا فراح عاطف يقلب القرش فى يده ، ثم رفع رأسه ينظر الى أبيه وقال :

ــ انت مش شايف، يا بابا ان القرش ما بقاش يشترى حاجه ؟

فقال حسين وهو يدفع ابنه لينصرف :

ــ قول كده للحكومه •

وراح حسين يرتدى ملابسه ، وأرادت زينب أن تخفف عنه فقالت :

ــ عندى كام زغلول فى السطح ادبحهم وكام فرخه . أهم يسدوا خانه يوم الجمعه •

ــ تفتكرى دول يكفوا مصطفى علوان ؟ دا عايز له هم كتير •

ــ كله يدبر •• ديك رومى نحطه فى وسط السفره ، وكام فرخه وكام حمامه . وشوية بفتيك وصينية رقاق ، ونحشى شوية ورق عنب ، وكان الله بالسر عليم •

ــ ولازم الديك الرومى ده ؟

ــ دى أول مره يتغدوا عدنا ، عايزهم يقولوا علينا ايه ؟

وأطرق حسين قليلا ثم قال :

ــ وح يحلوا ايه ؟

ــ هات معاك بالمره كام كيلو موز وكام كيلو برتقال . وأنا عندى لبن ح اعمل رز بلبن •

وهز حسين رأسه يأسا وسخرية وذهب الى مكتبه :

كان يكتب أرقاما فى ورقة . انها الأثمان التقريبية للأشياء التى سيشتريها . ولما انتهى من كتابة الأرقام وجمعها أخرج من جيبه حافظة نقوده وأخذ يعد ما بها ليطمئن الى أن ما بقى معه يكفى لشراء ما أملى عليه .

وأعاد الحافظة الى جيبه وشرد مفكرا فاذا بصورة زينب تطفو على سطح ذهنه ، واذا بصوتها يرن فى وجدانه : والنبى لولا تدبيرى ما كنا قدرنا نعيش .. وكادت تستولى عليه كآبة الا أنه نهض وهز رأسه فى عنف كأنه كان يطـــرد الأفكار السوداء التى كادت تهاجمه لتفترسه . وأراد أن يسمع نفسه صوت الرضا والاستسلام فقال فى صوت مسموع :

ــ الله جاب الله خد .. الله عليه العوض .

وفى العصر كان حسين وأولاده فى السوق : حسين عند الخضرى ، وسامى عند الفاكهى ، ومراد فى الجمعية التعاونية ، وعاطف عند مخبز قريب من البيت . وعادوا جميعا الى الدار وهم يحملون ما اشتروه .. ورن جرس الباب فأسرعت سوسن وفتحته فاذا بحسين يدخل وهو يحمل لفائف بها بطاطس وقوطه وبسلة وجزر وقد أسند اللفائف بيده الى صدره وفى يده الأخرى كرنبة ، واذا بســـامى يحمل موزا وبرتقـــالا ، ومراد يحمل ورقا به اللحم . وعاطف قد رفع على رأسه كيسا به خبز . فلما رأت سوسن أباها صاحت :

ــ كرنب .. كرنب يا ماما .

فجاءت زينب مسرعة ، فلما رأت زوجها يكاد يختفى خلف ما يحمل قالت :

ــ شايل كل ده ؟ ! إن شاء الله ما انشال ولا اتاكل •

وأسرعت تأخذ الكرنبة من يده وتخفف عنه بعض ما يحمل ، وسارت الى المطبخ وهو تقول :

ــ كان لازم يعنى الكرنب •• هو كان وحمه ؟

ــ ما لقيتش ورق عنب •

ــ ما كانش لازم •

ووضعت الأم الأشياء فى المطبخ ؛ وما كاد حسين يأخذ نفسه حتى قالت له :

ــ والنبى يا حسين تروح تغير هدومك وتيجى تساعدنى فى تقشير البطاطس والجزر ؛ وأنت يا سامى تفصص البسلة عبال ما اسلق الكرنبة •

فقال سامى :

ــ أنا عندى مذاكره •

ــ يعنى حبكت النهارده ؟ !

ــ خلى مراد وسوسن يفصصوها •

ــ مراد وسوسن ح يقشروا البصل •

قال مراد :

ــ اشمعنى أنا اللى اقشر البصل كل مره ؟

ـ عشان تنضف الحبر اللى دايما فى صوابعك •

وذهب حسين الى غرفته وسرعان ما عاد ولبس فوطة المطبخ وراح يقشر البطاطس والجزر ، وترك مراد البصل ؛ وانسل الأولاد ليشاهدوا التلفزيون •

ووضعت الحلل على النار ؛ وخرج حسين وزينب من المطبخ يبدو عليهما الاجهاد • ونظرت زينب الى حيث تجمع الأولاد وقالت :

ـ كفايه لعب بقى تعالوا نوضب السفره • اعملوا حاجه نافعه مره •

فقام الأولاد فى تكاسل وذهبوا للمعاونة فى اعداد المائدة ؛ ان مائدتهم صغيرة لا يمكن أن يجلس حولها كل المدعوين غدا فراحوا يفكرون فى وسيلة يمدون بها المائدة ، فأتوا بمائدة المطبخ ووضعوها الى جوار مائدتهم وغطوا المائدتين بمفرش أبيض •

ووقفت زينب تعد الكراسى ؛ ولما كانت تعرف تماما عدد الذين سيجلسون حول المائدة قالت فى سرعة :

ـ ناقص أربع كراسى •

ووقف حسين مفكرا وقال :

ـ وايه العمل دلوقت ؟

ـ ولا حاجه ؛ بكره نستلفهم من الجيران •

وقالت لسوسن :

ــ عدى يا سوسن الشوك والسكاكين .

وبعد لحظة قالت :

ــ والا بلاش : أنا عارفه انهم مش ح يكفوا ، نستلف شوك وسكاكين الجيران .

فقال حسين متبرما :

ــ هو كله من الجيران ؟

ــ يا سيدى الناس لبعضها .

وراح عاطف يعد الأكواب فاذا بكوب يسقط من يده ويتهشم ، فقالت زينب :

ــ ايه ده يا مقصوف الرقبه ؟

ــ كنت باعد الكوبيات .

ــ مين قال لك تعدهم . ميت مره قلت لك ما تمدش ايدك على حاجه ، مره تانيه تكسر حاجه ح اكسر رقبتك .

فرماها عاطف بنظرة غاضبة وقال :

ــ ما تشخوطيش فى كده . أنتى عايزه تعقدينى

— ٥ —

اجتمع الجميع حول مائدة الطعام : كان حسين على رأسها وعن يمينه مصطفى علوان ثم زوجته ثم أحلام وجلال : وعن يساره شفيق فنبيلة فسوسن فزينب ـ لتكون قلب المائدة التى تقوم بتوزيع الطعام ذات اليمين وذات الشمال ـ فسامى وقد جلس قبالته مراد ، وعلى رأس المائدة من الجهة المقابلة جلس عاطف يتنازعه أكثر من انفعال : انه لا يدرى أأجلس فى ذلك المكان ليبعد عن الطعام أم تكريما له ؟

وراحت هالة تدور حول المائدة . انها حائرة لا تعرف مكانها . كانت الأم تحسب أن كسرة خبز أو دبوسا من حمامة سيلهيها عنهم ، ولكن اتضح أن هالة لن ترضى بأقل من أن تجلس على كرسى خاص بها مثلهم . فذهبت الى حيث كان يجلس أبوها ، فلما رآها حملها ليجلسها فى حجره ، ولكنها أبت وهمت بالبكاء فاذا بمصطفى علوان يتلفت فيرى كرسيا خاليا فيقوم ويحضره ويضعه بينه وبين حسين ، ويحمل هالة ويجلسها عليه وهو يقول :

ـ دول بركه : دا ربنا بيرزقنا برزقهم •

ونهضت زينب وتناولت شوكة وسكينا وراحت تحاول أن تقطع الديك الرومى الذى توسط المائدة : فراح مصطفى علوان يرقبها وقد تحلب ريقه • انه لا يستطيع أن يكبح شهوته للطعام حتى تنتهى زينب من التقطيع : فنهض وقال وهو يمد يديه ليحمل الصحفة والديك :

ـ عنك انتى يا ست •

ولما أصبح الديك أمامه راح يمزقه اربا اربا بيديه وهو يستشعر لذة العبث فى لحم طرى ، ثم أخذ يوزع على الجميع أنصبتهم • فلما هم بوضع قطعة أمام أحلام أدارت وجهها اشمئزازا وقالت :

ـ بلاش يا عمى ، أنا مش طايقه آكل لحمه واللا اشم ريحتها •

وتهلل وجه زينب بالفرح •• فطنت الى أن ابنتها تتوحم : لقد حملت أحلام دون أن تزف اليها البشرى السعيدة التى كانت تنتظرها ، فرنت اليها فى حب وحنان وقالت :

ـ أجيب لك حاجه تانيه ؟

فقالت أحلام :

ـ حتت جبنه قديمه اذا كان عندك •

ـ عندى يا حبيبتى •

وغادرت زينب المائدة وهى تكاد تطير من الفرح . وغابت قليلا ثم عادت تحمل قطعة من الجبن وضعتها أمام ابنتها .

ـ اتفضلى يا حبيبتى .

واستمر مصطفى فى توزيع الأنصبة فوضع أمام زوجته أطيب ما فى الديك ، ووضع لعاطف قطعة صغيرة . فراح عاطف ينظر اليه نظرات تنطق بعبارات واضحة « هى دى اللى هانت عليك ؟ هى ديك أبوك ؟ » ولم ينس بالطبـع نفسـه فقد خصها بطبلة الديك ونصفه الأسفل .

ونظرت اليه زينب وقالت فى مجاملة : -

ـ انت ما خدتش حاجه .. خدت العضم .

فقال مصطفى علوان وهو يدس فى فمه أسمن ما فى الديك :

ـ أصل أنا أحب امصمص العضم .

وقال حسين مداعبا :

ـ ما ينوب اللى بيقسم الا مصمصة صوابعه .

وانهمك الجميع فى الأكل وكانت زينب تصوب عينيها الى نبيلة . فاذا ما التقت الأعين كانت تشير لها برأسها الى أحلام . كانت تسألها عما اذا كانت قد حملت مثل أختها . وقد فهمت نبيلة ما تقصدة أمها فهزت رأسها نفيا ، فظهر التهر فى وجه الأم ولوت شفتها السفلى ووسعت عينيها وهزت

حاجبيها وصعرت خديها ، وفهمت نبيلة أن أمها تقــول لها يا خايبه •

والتفتت سوسن الى نبيلة وقالت لها :

ــ والنبى يا نبيله وانتى يا أحلام ما تبقوش تغيبوا علينا كده •

فأشرق وجه نبيلة بابتسامة ومالت على سوسن ولولا أن فمها كان مملوءا بالطعام لقبلتها ، وقالت لها :

ــ وحشناك يا روحى ؟

فقالت سوسن فى بساطة :



ـ لأ • أصل احنا ما بنشوفش الأكل د الا لما بتيجوا •

وارتبك حسين ، ونظرت زينب الى سوسن نظرة غيظ ، وظهر الغيظ فى وجه أم جلال ، وارتبكت أحلام ، وراحت نبيلة تلكز أختها فى جنبها لكزات خفية ، أما مراد فقد ضحك فى براءة فاذا بأمه تصوب اليه نظرات نارية فقطع ضحكه فجأة •

وقام عاطف يلملم العظم من على المائدة . فصاحت أمه فيه قائلة :

ـ بتعمل ايه يا ولد ؟

ـ بلم العضم للكلب ، واللا يعنى انتو تاكلوا وهو ما ياكلش •

ـ سيب ده دلوقت •

وتمطى مصطفى علوان والتفت الى زينب وقال :

ـ ايد ما نعدمها •• كان يوم مبروك يوم ما جيتى وعزمتينا •

وطرق قوله رأس حسين طرقا عنيفا فالتفت الى زينب وكانت ترقبه بطرف عينها ، فلما رأت كل ملامحه تصرخ فيها : بقى كده ؟ انكمشت وراحت تنظر الى بقايا الطعام التى أمامها • وأحست أن ذلك ليس كافيا ، انها تريد أن تفر من المكان

فنهضت وراحت تلملم ما على المائدة من صحاف وشوك وسكاكين لتختفى قليلا فى المطبخ حتى يسكن روعها •

وأسرع سامى يضع على المائدة صحاف الموز والبرتقال . فلما عادت زينب ورأت ذلك قالت :

ــ تحلو بالرز ملبن قبله ؟

فقالت أم جلال :

ــ كفايه كده •• الخير كتير •

فعادت زينب الى مكانها ، وكأنما أرادت أم جلال ألا ينتهى الغداء دون أن تتغز زينب ، فقالت :

ــ سايبه نفسك كده ليه يا ست زينب ؟ مش شايفه انك زدتى كتير !

وأحست زينب لسع نقدها يشويها ، انها كانت تزهو برشاقتها •• وها هى ذى حماة ابنتها التى شد جلدها على عظمها تسخر منها • وضاقت زينب بتلك السخرية ولكنها كتمت غيظها وأمسكت لسانها •

وقال مصطفى علوان مداعبا :

ــ ما هو اللى ياكل الأكل ده لازم يسمن •

ورأت زينب الفرصة سانحة لتسخر من حماة ابنتها فقالت :

ــ فيه ناس الأكل ما طرح ما يسرى يمرى ، وفيه ناس زى العرسه تاكل وتنسى •

وظهر الغيظ فى وجه الحماة ، ولم تر منفسا له الا أن تنهض وتغادر السفرة : فاذا بالجميع ينهضون ويخرجون الى الصالة وزينب تسأل كلا منهم :

ـ قهوه ولا شاى •

وجلسوا يشربون القهوة ويتسامرون ، ونظر شفيق فى ساعته وقال :

ـ ماتش الكوره •

فنهض حسين وضغط على زرار التلفزيون • وبعد لحظات ظهرت الصورة كشريط فى منتصف الشاشة فقال حسين فى فزع :

ـ ايه ده ؟ مين اللى عمل كده ؟

فقالت سوسن • جهاز الاذاعة المنزلية :

ـ مراد عمله سكوب •

وقال جلال :

ـ بسيطه •• زرار من ورا يعدل الصوره •

ونهض جلال ليصلح التلفزيون واذا بشفيق يقول له :

ـ ايه رأيك يا جلال نروح النادى نتفرج ع الماتش •• أنا ونبيله وانت وأحلام •

فصاح عاطف :

ــ وانا .

واذا بزينب تقول :

ــ لا والنبى . بلاش أحــلام . بلاش نتمخمض اليومين دول .

- ٦ -

انقضى الليل وزينب تتقلب فى فراشها لا تغمض لها عين . أن قول حماة ابنتها « سايبه نفسك كده ليه يا ست زينب ؟ مش شايفه انك زدتى كتير » يلهب عواطفها ويخز روحها وخزا أليما . انها تستشعر أن جسمها قد امتلأ وأنها فقدت كثيرا من رشاقتها ولكنها ما كانت تظن أنه سيأتى ذلك اليوم الذى ستكون فيه بدانتها موضع سخرية ، وما خطر لها على قلب أن تصبح هدفا لهزء حماة ابنتها .

حاولت أن تغمض عين أفكارها عن ذلك القول الا أن الصوت الهازىء كان يفح فى أعماقها فحيح الأفعى ، وصورة المرأة قد انفرج فمها عن ابتسامة صفراء لم تنثن عن مرقدها . انها باتت تتعجل النهار لترى رأيها فى هذه السمنة وتعمل على ازالتها .

وأحس حسين تقلبها ذات الشمال وذات اليمين فطار النوم من عينيه ولم يشأ أن يحادثها لعلها تنام ، ولما وجد أنها مستمرة فى قلقها قال لها :

— مالك يا زينب قلقانه ليه الليله دى ؟ بتفكرى فى ايه ؟

وهمت بأن تفضى اليه بحقيقة ما يشغلها ولكنها وجدت أن الأوفق أن تصبر حتى تجد الحل لمشكلتها : فقالت لتفر من هواجسها :

ــ بفكر فى أحلام •• بتتوحم على تفاح •

ــ بتفكرى فى أحلام واللا فى نفسك •

ودق قلبها فى صدرها خوفا • ترى هل استشف من قلقها شيئا ؟ وسرعان ما انقشع ذلك الخوف لما قال لها :

ــ خايفه تبقى جده ؟

ــ جده ؟ ! هو عشان ما اتجوزت صغيره ، حلوه دى •• أنا طول عمرى ح ابقى ماما زوزو وانت بابا حسين •

وراح يداعبها وهو يقول :

ــ أنا جدو حسين •

ــ لأ والنبى ما تقولش كده لاحسن بيتهيألى انك بقيت راجل مكركب وماشى على عصايه •

وأشرقت الشمس وأسرعت سوسن الى الحمام وأغلقته خلفها • وجاء سامى وعلى كتفه الفوطة وراح يفتح باب الحمام . فلما علم أن سوسن بداخله قال متأففا :

ــ هو احنا خلصنا من نبيلة طلعتى انت لنا ؟

وكانت زينب فى طريقها الى المطبخ ، فلما سمعت قوله قالت :

ـــ والله هى اللى استريحت من وشك •

فقال سامى فى استسلام :

ـــ يا فتاح يا عليم •

وسمع طرق الحذاء على الباب فصاحت زينب :

ـــ مراد ، افتح لاخوك الباب •

وقام مراد يتمطى ، فانلته قد خرجت من تحت بنطلون البيجاما وتدلت من الجاكتة ، وذهب الى الباب وهو بين النائم واليقظان وفتحه فاذا بعاطف يدخل مهرولا ويقول :

ـــ جبت بيضتين من عند الفراخ •

فخرجت زينب من المطبخ وقالت فى انكار :

ـــ بس ؟

فقال عاطف يفسر لها السر :

ـــ ولقيت فى العشه قشر كتير •

ونادت زينب فى غضب :

ـــ مراد •• سوسن •

وخرجت سوسن من الحمام وذهبت الى حيث كانت أمها فى الصالة ، وجاء مراد وهو يسبل عينيه كأنما يخشى أن يستيقظ ، وقالت لهما الأم :

ـــ مين فيكو اللى طلع شرب البيض ورمى القشر ؟

فقال مراد فى بساطة :

ـ آنا •

ـ تبقى حرامى •

ـ لأ ما ابقاش حرامي ، أنا شربت نصيبي ، ولا يعنى يطلع عاطف كل يوم يلهف البيض وحده •

فقالت زينب لتنهى الموضوع :

ـ أنا ح اجيب قفل للعشه •

ووضعت صينية على مائدة الصالة عليها علب الجبن والزيتون والحلاوة الطحينية ، ووضع الى جوارها خبز فجاء الأولاد يأكلون • راح سامى يتناول افطاره فى عجلة وهو واقف وفى يده كتاب يقرأ فيه فقالت له الأم :

ـ ما تقعد تاكل يا سامى ، واللا عايز الأكل ينزل فى رجليك ؟

فابتسم سامى ابتسامة خفيفة ساخرة ، ثم انصرف فقالت له الأم :

ـ باقول لك اقعد مش باقول لك إمشى •

وجاء عاطف وفى يده بيضة سلقها وراح يقشرها ، فلما انتهى منها خطفتها سوسن ودستها فى فمها فراح عاطف يصرخ ويبكى ، فجاء أبوه وقد ارتدى ملابسه وقال له :

ـ بس بلاش عياط •

فاستمر عاطف يبكى ويشير الى فم سوسن :

ـ البيضه .. البيضه ..

ـ طب اسكت وخد قرش .

فكف عاطف عن البكاء ومد يده وقال :

ـ هات .

وأخذ عاطف القُرش واندفع خارجا . وانصرف الجميع ولم يبق فى الدار غير زينب فذهبت الى الشرفة ووقفت ترقب شرفة جارتها ، فلما لمحتها حيتها ثم دار بينهما حوار . قالت زينب :

ـ مش عارفه اعمل ايه ؟ ما باكلش وعماله اتخن .

ـ خسسى روحك .

ـ يا ربت ! بس ازاى ؟

ـ فيه صابون بيخسس .

ـ هو فين ده ؟

ـ فى بلاد بره ولسه ما جاش .

ـ يعنى ح استنى لما ييجى .

ـ لأ ياختى ، فيه حبوب بتخسس فى شارع الشواربى بس غاليه موت .

ولم تنتظر . انسلت من الشرفة وانطلقت الى شارع الشواربى . وعادت الى البيت وراحت تخلع ملابس الخروج

واذا بجرس الباب يدق دقا مستمرا • ان اصبعا ضغطت على الزر ولم ترتفع عنه فصاحت فى ضيق :

ــ طيب يا سوسن جايه •• جايه اهه •

وفتح الباب ودخلت سوسن فقالت لها أمها تنهرها :

ــ ميت مره قلت لك ما تحطيش ايدك ع الجرس على طول •

وعادت زينب تستأنف خلع ملابسها واذا بالجرس يرن فى رفق •

فقالت زينب :

ــ سوسن افتحى الباب ، بابا جه •

ودخل حسين فوجد زوجته تخلع ملابس الخروج فنظر فى دهشة وقال :

ــ انتى خرجتى ؟

ــ خرجت ادور على حبوب التخسيس •

ــ حبوب التخسيس ؟ !

فقالت فى عتاب :

ــ انت ما سمعتش أم جلال قالت لى ايه ؟ عصاعيص النقريه بتتمسخر على •• أنا •• أنا لازم اخس يا حسين •

ــ يا زينب اعقلى •

ــ أنا اتفقت مع الراجل خلاص ، قلت له يحضر لى الحبوب

عيال ما اجيب له الفلوس .

فقال فى سخرية :

ــ وكام الفلوس دى ؟

ــ الكورس بعشرة جنيه .

فقال وهو يخلع كرافتته فى غيظ :

ــ وح تخدى كام كورس ؟

ــ سته بس يا حسين .

ــ يعنى ح ادفع ستين جنيه عشان تخسى ، ويا تخسى يا متخسيش !

فقالت فى صوت فيه نحيب :

ــ يعنى مستخسر فى ستين جنيه بعد العشره الطويله دى كلها ؟

ــ لأ مش مستخسرهم .. بس أجيبهم منين ؟

ــ استبدل لى حنيه من المعاش .. اشمعنى استبدلت لأحلام .

وارتفع صوت حسين ، قائلا فى انفعال :

ــ استبدل لك جنيه ؟ لما جوزت أحلام قلت فى الطلب انى ح اجوز بنتى ، أقول ايه فى الطلب بتاعك ؟ اقول عايز استبدل جنيه عشان اخسس مراتى ؟ !

ووصل صوت الأب الى مسامع سوسن فجـــاءت ووقفت تسترق السمع : سمعت أباها يقول :

ـــ ده كلام فاضى •• دى قلة عقل •

فقالت زينب وهى تبكى :

ـــ ده جزائى •• دى آخر عشرتى معاك •

وتركت الغرفة غاضبة وقد تركت دموعها تسيل على خديها دون أن تحاول أن تكفكفها ، واندفعت كالعاصفة الى غرفة البنات وأغلقت الباب خلفها فى عنف •

ودخلت سوسن على أبيها وقالت له :

ـــ انت طلقتها خلاص ؟

فارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه حسين •

— ٧ —

جلست زينب ترفو جوارب أبنائها وتحاول أن تتبع الرواية التى كانت تجرى أحداثها على شاشة التلفزيون ، وجلست سوسن تتابع الفيلم باهتمام ، وراح عاطف يقول فى ضيق :

— ما تخلصونا بقى ح تفلقونا على ايه ؟ ما احنا عارفين فى الآخر نتجوزوا .

وقفت الأم عن رفو الجورب الذى فى يدها وقالت :

— وطى حسك . سامى ومراد بيذاكروا .

فقال عاطف فى صوت خافت :

— ماما . هى كل الروايات لازم يتجوزوا فى آخرها ؟

— مش كلها يا عاطف .

وجاء الأب يشارك أبناءه جلستهم . فلما رأى سوسن أمام التلفزيون قال لها :

— انتى مش ح تذاكرى يا سوسن ؟

فقالت دون أن تلتفت اليه :

— لما تخلص الرواية يا بابا .

ورن جرس الباب فقامت الأم وفتحته ، فألفت فتاة جميلة ترتدى بنطلونا طويلا وفوقه جاكت تدلت الى ما تحت الركبة فنظرت اليها فى انكار ، فقالت الفتاة فى ثبات :

ــ سامى موجود يا تانت ؟

فقالت الأم فى عصبية :

ــ مش موجود .

فنظرت الفتاة اليها فى شىء من الدهشة وقالت لها :

ــ لما ييجى قولى له جيهان سألت عليك .



ودارت الفتاة على عقبيها وانصرفت وزينب تنظر اليها غير مصدقة . فلما هبطت الدرج أغلقت زينب الباب خلفها في نرفزة ودخلت تقول :

ـــ بنات آخر زمن . جياله لغاية هنا برجليها .

وراحت تقلدها في مبالغة وهى تتماوج :

ـــ سامى موجود يا تانت ؟ قال تانت قال . احنا ما كناش بنات !

ونهضت سوسن فقد سنحت لها فرصة نقل خبر : وانطلقت الى حيث كان سامى وقالت له :

ـــ واحده جت سألت عليك : ماما قالت لها مش موجود .

وألقى سامى الكتاب الذى كان فى يده فى غضب وخرج الى حيث كانت أمه : وسوسن خلفه مبتهجة تقفز من الفرح قفزا ، ترقب فى سرور ما ستسفر عنه المشادة المرتقبة : وقف سامى أمام أمه وقال :

ـــ حد سأل على ؟ .

فقالت أمه دون أن ترفع عينيها عن الجورب الذى كانت ترفوه :

ـــ سامى . أنا مش عايزه المسخره دى تحصل تانى .

ـــ مسخرة ايه ؟

ــ ازاى مقصوفة الرقبة دى تيجى لغاية هنا تسأل عليك ؟

ولاحظ الأب أن سامى سينفجر فى أمه فقال ليخمد النار المتأججة فى صدر ابنه :

ــ واحده اسمها جيهان سألت عليك •

ــ وما ندهتوليش ليه ؟

فقالت الأم فى انفعال شديد :

ــ هو اللى كان ناقص •

ــ ايه هو اللى كان ناقص ؟ دى زميلتى فى الفصل زى ما نبيله لها زملاء رجاله فى الفصل •

فهبت الأم ثائرة كأنما جرح كبرياءها وقالت :

ــ ما تقولش كده •• أنا بنتى مؤدبه ؟

ــ ومن قال ان جيهان مش مؤدبه ؟

ــ لو ما كانتشى بجحه ما كانت جت برجليها لغاية هنا •

ــ فيها ايه لما جت لغاية هنا ؟ هو ده مش بيت محترم ؟

وأحست زينب أنها ستهزم اذا ما استمر الحوار فالتفتت الى زوجها وقالت :

ــ ما تشوف ابنك يا حسين !

فالتفت حسين الى سامى وقال :

ــ روح ذاكر يا سامى ، حصل خير •

فقال سامى وهو ينصرف :

ــ تكدبوا وتقولوا ان انا مش هنا وبعدين تقولوا حصل خير !

وغاب سامى فى غرفته فقالت زينب لزوجها :

ــ والله ما ح يخسرهم لا تطريتك دى . يا راجل خليك حمش مره •

وكأنما لم يعجبه كلامها فانسحب الى غرفة النوم ؛ فقامت زينب خلفه وراحت تقول :

ــ أنا عايزه أعرف اللى بينه وبينها ؟

فقال حسين فى هدوء :

ــ ح يكون بينه وبينها أيه ؟ زميلته فى الجامعه وبينه وبينها صداقة بريئة •

فقالت فى غيظ وقد أخذت ثوبها عند صدرها بين أصابعها وراحت تهزه :

ــ بريه • بريه ! قال صداقه بريئه قال •• هو فيه فى الدنيا دى صداقه بريئه ؟ !

ــ عيبك انك دايما تسيئى الظن بالناس •

ــ لأ ••• نحط الكبريت جنب البنزين ونقول صداقه

بريئه ، يا راجل فوق بقى : اسألنى أنا دا كله تحت باطى ••
ح ييجى واد مفعوص زى ده ع الآخر وياكل بعقلى حلاوه •

ــ اسمعى نصيحتى يا زينب ، ان جت سألت عليه مره تانيه قولى لها اتفضلى •

فقالت ساخرة :

ــ وادخلها على فين ؟ على أودة النوم ؟ !

وأعرض عن قولها واستمر فى حديثه قائلا :

ــ مش أحسن لما يتقابلوا قدامنا من انهم يتقابلوا من ورانا ؟

ــ وايش عرفك انهم مش ح يتقابلوا من قدامنا ومن ورانا •

ــ بلاش كلام فارغ ، اذا عرفوا اننا بنثق فيهم مش ح يكدبوا علينا •

فقالت فى تهكم :

ــ اسم الله يا بنثق • فوق يا خويا فوق دا جيل يعلم به ربنا •

وخرجت الى حيث كانت سوسن وعاطف وكانا يتابعان الفيلم • فلما رأت سوسن أمها اتجهت اليها وقالت :

ــ ماما •• ازاى واحده ست تحبل من غير ما تتجوز ؟

فقالت زينب فى فزع :

ـ اخرسى يا قليلة الأدب ٠

وأرادت سوسن أن تنفى عن نفسها ما أغضب أمها فقالت ٠

ـ أنا مالى ، التلفزيون الذى بيقول كده ٠

ونظر عاطف الى سوسن وقال لها :

ـ سيبك من ماما ، تعالى أنا أفهمك ٠

فهبت زينب ثائرة واندفعت الى حيث كان حسين وراحت تولول :

ـ يا خرابى ٠٠ يا خرابى ٠٠ جيل آخر زمن ٠

وضعت زينب الهدايا التي ستحملها الى ابنتها نبيلة فى كيس من البلاستيك • لقد زعمت أن ابنتها أوحشتها كثيرا وأقنعت زوجها أن يشترى شيكولاتة وأشياء أخرى فما يليق أن تدخل الى أبنتها خاوية اليدين • صدق الرجل أن ذهاب زينب الى ابنتها ان هى الا زيارة بريئة وما خطر له على قلب ما كان يدور فى رأس الأم •• انه كان يحب أن يذهب معها الا أنه كان مضطرا الى العودة الى عمله بعد الظهر فنهاية السنة المالية على الأبواب ؛ وكان عليه أن يقفل حسابات السنة التى تجرى بخطوات واسعة لتصبح فى ذمة التاريخ !

كان يتعجل خروج زينب ليخرج ؛ ولكن زينب من عادتها أن تتلكأ كثيرا قبل أن تغادر البيت • انها تعيد ترتيب كل شىء ، تلتقط قصاصات الورق من الأرض ، وتبسط الستائر التى تكون قد جمعت لبدخل النور ؛ وكانت دائما تعود الى غرفة النوم بعد أن تصل الى باب الخروج لتلتقط شيئا نسيته أو تتأكد من أنها أحكمت اغلاق بابها •

وفى أثناء هزها للستائر قا للها حسين :

ـــ ح تروحى لوحدك ؟

فقال عاطف :

ـــ أنا ح اروح معاها •

فقال الأب :

ـــ مش كنت خدت حد كبير ؟

فراح عاطف يفرد طوله ويشب على قدميه وقال :

ـــ طب ما انا كبير اهو •• أنا بقيت راجل •

وابتسم حسين وقالت زينب لعاطف :

ـــ يا للا يا راجل •

وفتحت زينب الباب لتخرج . فقال حسين ساخراً :

ـــ ما نستيش حاجه ؟

فدارت زينب على عقبيها وقالت :

ـــ فكرتنى •• الجونتى •

وعادت تفتح باب غرفة النوم التى أغلقتها بالمفتـــاح ؛ واتجهت لتحضر القفاز وحسين فى الصالة ينفخ ضيقا وعاطفه يتململ فى وقفته ، وعادت تحمل الكيس فى يد والقفاز فى اليد الأخرى وذهبت لتخرج ، ولكنها قبل أن تغادر الباب ثبتت طرف حذائها على الأرض ورفعت كعبه والتفتت تنظر الى ساقها ثم قالت لزوجها :

ــ والنبى يا حسين شوف الشراب معدول •

ــ معدول يا ستى •

ولما اطمأنت الى حسن هندامها تحركت . فقال لها حسين :

ــ خدو تاكسى •

فقالت فى براءة :

ــ والأتوبيس ماله •• ليه البعزقه اللى ما لهاش لازمه ؟ ما كل الناس بتركب الأتوبيس •

وخرجت زينب وعاطف الى جوارها مزهوا بنفسه : وراح حسين يتبعهما بنظرة ، وقد كست وجهه موجة اشفاق وسخرية ، اشفاق على نفسه وسخرية من زوجته العاقلة المدبرة !

واندست زينب فى الأتوبيس وانحشرت بين الواقفين وأوقفت عاطف أمامها ، أنه يتنفس بصعوبة من الزحام الذى يضغطه ضغطا •• وأحست زينب بشاب يتحرك خلفها فالتفتت اليه فلم ترتح الى هيئته ، فراحت تنقل عاطف من أمامها الى خلفها ولم يكن ذلك أمرا ميسورا • وأصبح أمامها رجل يرتدى ملابس رياضيه وقد أمسك العمود الذى تعلق به الواقفون بيد يزين معصمها ساعة ذهبية •

ورأت يد الشاب الذى كان خلفها تتحرك فى خفة وفى حركة خاطفة تخلع الساعة من الرجل الواقف أمامها فصاحت صيحة لا ارادية :

ـــ الساعه ...

فالتفت الرجل الذى سرقت منه الساعة فى سرعة وقبض على يد النشال وفى يده الساعه الذهبية ، وقال له فى وعيد :

ـــ آه يا حرامى !

وراح النشال يستعطف الرجل :

ـــ خلاص يا بيه .. ساعتك معاك .. أنا غلبان وعندى عيال .

ـــ أنا عارف ألاعيبكم ، عارف كل طرق النشل بتاعتكم .

ـــ خلاص يا بيه .. ح تاخد ايه من حبسى ؟ . ح تجوع عيالى .. سيبنى الله يسترك .

فقال الرجل هازئا به :

ـــ مش ح اسيبك الا لما تورينى نشلتها ازاى من ايدى .

ـــ أمرك يا بيه .. ارفع ايدك زى ما كنت رافعها .

ورفع الرجل يده وأمسك بقبضته العمود الأفقى الذى يتعلق به الواقفون ، وفى خفة خاطفة نشل النشال الساعة وقال وهو يقفز من الأتوبيس :

ـــ نشلتها كدا هوه .

وأطلق النشـــال ساقيه للريح وانفجـــر ركاب الأتوبيس يضحكون ، والرجل الناصح غارق فى الخجل .

ودخلت زينب وعاطف على نبيلة ، فوضعت زينب الكيس

البلاستيك الذى ملىء بالهدايا على أول منضدة قابلتها . وراحت تقبل ابنتها التى قادتها الى غرفة الاستقبال وزينب تقول :

ــ نقعد هنا يا نبيلة . هو احنا غرب ؟

وجلستا تتحدثان ، وفيما هما تتحاوران قالت الأم :

ــ ما جبتيشى لنا حاجه حلوه كده زى أحلام ؟

فقالت نبيلة فى بساطة :

ــ لأ .. أنا متفقه مع شفيق اننا ما نخلفش الا لما اخلص الجامعه .

ــ وليه بقى يا بنتى ؟ ما فى الجامعه ستات كتير مخلفه .

ــ بيقول لى تروحى الجامعه ازاى وبطنك علو كده .

وتشير بيدها اشارة فيها مبالغة :

ــ ما ستات كتير بتروح الجامعه وبطنها علو كده .

فقالت نبيلة فى انكار :

ــ أروح الجامعه كده ازاى ؟

ــ يا بنتى البكريه بطنها ما بتبنشى : وفى الشهور الأخيره البس هدوم واسعه .

ــ دا شفيق يقول لى تعملى ايه لو ولدتى فى الامتحان واللا قبل الامتحان بجمعه ؟

ــ يا ختى دى تلاكيك ، بعنى كان منشن على الامتحان ؟

دا بس هو مش عايز يرتبط بحاجه . عايز يفضل حر • ان ما ربطهش بعيل مين عارف يمكن يطير •

ــ يا ماما شفيق مش من دول •

ــ كلهم يا بنتى من دول •• اسأليني أنا ، أمال أنا خلفت سبعه ليه ؟

ــ سبعه يا ماما ؟ الأيام دى راحت خلاص •• مين فى اليومين دول بقدر على سبعه ؟ يجيب لهم صحه منين ؟ يجيب لهم فلوس منين ؟

ــ الصحه ربنا بيديها على قد ما بيدى العيال •• واعلبيه بالعيال يغلبك بالمال •

ــ كفايه يا ماما واحد وإلا اتنين •

ــ دا الكلام الفارغ اللى بيعلموه لكم اليومين دول •

ــ مش كلام فارغ يا ماما . كفايه واحد •

ــ بس هاتى الأولانى وانت نفسك ح تتفتح لهم ، ح تدوقى لذتهم •

وراح عاطف يأكل الشيكولاتة التى قدمتها له أخته ، انه لم يكتف بقطعة أو قطعتين ، لقد ذاق لذتها فانفتحت لها نفسه •

ونهضت الأم لتتصرف فقالت لها نبيلة :

ــ ما بدرى يا ماما •

ــ نروح قبل الدنيا ما تضلم علينا •

ولفت الحوار نظر حسين فترك سوسن واقترب يرهف السمع ، سمع زوجته تقول :

ـ ولما اتخطبت ح تيجى ليه ؟

ـ ح تيجى تذاكر .

فقالت زينب فى دهشة :

ـ وخطيبها عارف أنها ح تجيلك ؟

ـ عارف انها ح تيجى تذاكر .

فالتفتت فرأت زوجها فقالت :

ـ سامع يا حسين ؟ خطيبها عارف انها ح تيجى تذاكر مع ابنك .

فقال حسين فى هدوء :

ـ وفيها ايه ؟

ولم تحتمل ذلك ولم تستطع أن تتصوره فقالت فى غيظ :

ـ يا خواتى رجالة ايه دول ؟ رجالة آخر زمن .. رجاله قش .

والتفتت الى سامى فى شك وقالت :

ـ ما تقول يا بنى .. انت راجل واللا ايه ؟

وأحس سامى أن كرامته قد جرحت فقال :

ـ يا ماما انتى من زمن غير زماننا .

فقالت زينب :

ــ الحمد لله انى من زمن تانى •

وصمتت قليلا ثم قالت :

ــ جوزها ده بيشتغل ايه ؟

ــ طالب فى الجامعه معانا •

ــ ولما هو معاكو ما تذاكر معاه •

ــ ده فى السنة النهائية •

ــ طيب ما يذاكر لها بدل ما يسبها لك ؟ !

فقال حسين مداعبا زوجه :

ــ انت طيبه طيبه بس يا خساره •

فقالت زينب فى فزع وتحفز :

ــ بس يا خساره ايه ؟

ــ سوء ظنك بالناس •

فالتفتت الى زوجها وابنها وقالت :

ــ ده اللى بيجرى فى عروقكم بقى مايه مش دم ، ومايه ساقعه كمان •

ودق جرس الباب فأسرعت زينب وفتحته ، فاذا بها أمام جيهان وجها لوجه واذا بها تقول لها :

ــ مبروك •

فيتهلل وجه جيهان بالفرح وتقول :

ــ الله يبارك فيكى •

وفوجئت زينب بأن جيهان تقبلها فقالت لها

ـــ والله فرحت لك قوى يا بنتى .

ـــ مرسى يا تانت .

ـــ ده خطيبى .. بيذاكر ، السنه دى آخر سنه عنده ، ان شاء الله اجيبه ونيجى نزوركم .

وكان حسين وسامى يتابعان الحديث الودى فى دهش ، فأين زينب التى تكاد تذوب رقة وهى تحدث الفتاة من زينب الثائرة الحانقة التى كانت تقذف من فيها ألسنة نار ؟ !

ودخلت جيهان ودخل من خلفها سامى ، وما ان جلسا للاستذكار حتى جاءت زينب وأغلقت عليهما الباب فى رفق وقالت :

ـــ ربنا ينجح مقاصدهم .

ولما وصلت زينب الى حيث كان زوجها قال لها :

ـــ ايه الرقه دى كلها ؟ ايه اللى جرى فى الدنيا ؟

فقالت زينب فى هدوء :

ـــ مدام اتخطبت ربنا يهنيها .. أنا كنت خايفه لتلهف الواد .

فقال حسين ليغيظها :

ـــ ما ح تلهفه واحده تانيه ، ايه الفرق بين التانيه دى وبين جيهان ؟

ـــ التانيه دى أنا ح اختارها على عينى .

وتذكرت عينها الشمال . انها هدأت الموقف وتركت كل شىء يمر فى سلام لتقضى على مخاوفها التى استولت عليها . الا أن عينها الشمال لا تزال ترتعش فقالت :

ــ لسه عينى الشمال بترف .. اللهم اجعله خير .

ورن الجرس الخارجى فهرعت سوسن تفتح الباب فألفت نبيلة وقد حملت حقيبة كبيرة . فصاحت سوسن قائلة :

ــ أبله نبيله جت .. معاها شنطه كبيره .. باينها مسافره ؟.

والتفت حسين الى زينب فى ذعر فقد غاص قلباهما لما سمعا من سوسن اعلان وصول أختها ؛ وزاد فى جزعهما خبر الحقيبة الكبيرة التى تحملها . وقال حسين فى صوت فيه رنة أسى :

ــ يا ترى جت ليه ؟

ــ مش عارفه .. خليك انت هنا لما اشوف ايه .

وذهبت زينب وتصنعت الهدوء واغتصبت ابتسامة وقالت فى ترحيب لما رأت ابنتها وان كان قلق بالغ يدثرها :

ــ أهلا .. أهلا .

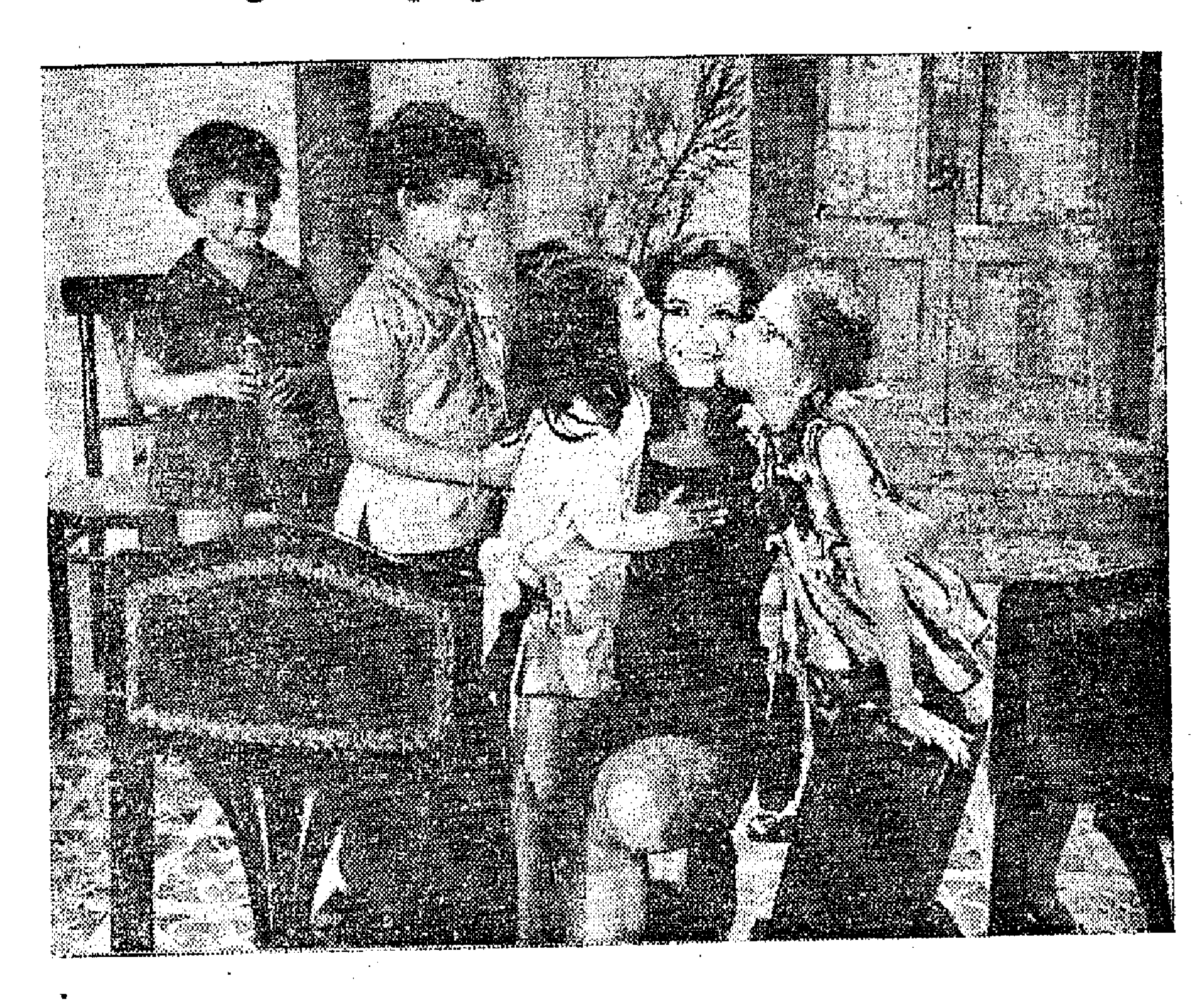
ومدت يدها تحاول أن تجمل عن ابنتها الحقيبة . ولكن نبيلة أبعدت الحقيبة عن متناول يد الأم وسارت شاردة تحاول أن تجمع شجاعتها التى تناثرت وأن تحبس الدموع التى تريد

أن تطفر من مقلتيها ، الا أن غريزة الأم كشفت كل شيء ، فطنت الى أن ابنتها فى محنة فاذا بالأسى يغمر عواطفها واذا بلهفة على أن تعرف أسباب مقدم ابنتها تستولى عليها . فما أن صارتا فى غرفة البنات وحدهما ووضعت نبيلة الحقيبة على السرير حتى قالت الأم :

ــ ايه اللى جرى يا نبيله ؟

فانفجرت نبيلة باكية . فأسرعت الأم تضمها الى صدرها وتقول وقد ترقرقت الدموع فى عينيها :

ــ بس يا بنتى بلاش عياط وقولى لى ايه اللى جرى .



ـ شفيق •

ـ ماله ؟

ـ زعل لما عرف انى حامل •

ـ ودى حاجه تزعل ؟ ده أمره غريب •• زعـل بدل ما يفرح ؟ !

ـ وطلب منى انى انزل اللى فى بطنى •

ـ اوعى يا نبيله يا بنتى ؛ تروحى فيها ، والله لو كان جرالك حاجه ما كان يكفينى ميكى هو ولا عيلته كلها •

فقالت نبيلة وهى تتشنج بالبكاء :

ـ ده قال : لانا لهوه •

ـ لأ هوه •• ده هو من لحمنا ودمنا ، هو حد ينزل اللى ف بطنه الا اذا كان ابن حرام !

ـ يا ماما أنا مش ح انزله مهما يحصل •

ـ تنزليه ازاى ؟ ده ضناكى ؟ حد يموت ضناه بايديه ؟ وتروحى من ربنا فين ؟

وساد بينهما صمت لحظة ثم قالت الأم :

ـ روحى اغسلى وشك وغيرى هدومك ، بيت أبوك اللى ساعك قبل ما تتجوزى يساعك بعد ما تجوزتى ، ده احنا نشيلك جوه عنينا •

وفتحت نبيلة الحقيبة فاذا بها ملابسها ، فأخرجت قميص

النوم وانطلقت زينب الى حيث كان حسين قلقا أرقا . فما ن رآها حتى خف اليها يقول لها فى لهفة :

ــ حصل ايه ؟

ــ شوية نقار بينها وبين شفيق .

ــ سببه ايه ؟

ــ عرف انها حامل زعل وعايز ينزله .

ــ وح تعمل ايه دلوقت .

ــ ح تفضل معانا لغاية ما ييجى ياخــدها ورجله على رقبته .

١٤

كانت أحلام تسير وقد ازداد بطنها انتفاخا ولم تكن تحس نفس الانشراح الذى كانت تستشعره كلما خرجت لتتمشى . فانها منذ غضبت نبيله وعادت الى بيت أبيها أمست تخرج وحدها وفى النفس أسى ، فما كان يخطر لها على قلب أن يصل الحب الذي كان بين نبيلة وشفيق الى مثل ذلك الجفاء البارد الثقيل •

وكان جلال يسير الى جوارها صامتا ، وكان ذهنه مشغولا بما كان بين نبيلة وزوجها • ان صداقة متينة كانت توطدت بينهم جميعا فاذا بغياب نبيله وشفيق يترك فراغا فى حياته يسبب له ضيقا ، وما كان بقادر على أن ينفرد بأفكاره فقال :

ــ ايه اللى عمله شفيق ده ؟ بقى ده معقول ! انا ح اروح اكلمه •

فقالت أحلام فى اشفاق :

ــ بلاش يا جلال ، ان كلمته ح يركب راسه ، وان عرفت نبيله ح تزعل •

ـ وايه اللى ح يزعلها ؟

ـ كلامك لشفيق عشان يرجعها ح يجرح كرامتها .

ـ كلام ايه ده ؟ امال فين اصلاح ذات البين .

ـ ان كلمت شفيق ورجعها يبقى عشان خاطرك مش عشان خاطرها . وان رفض يصلحها تبقى أسأت لهم وزودت الخلاف ؛ أنا رأيى انك تسيبه لغاية ما يرجع لعقله .

فقال ضيقا بحديثها :

ـ ما هو لو فكرنا فى كرامته وفى كرامتها مش ح نعمل حاجه . أنا ح اكلم شفيق .

وكانت أحلام فى قرارة نفسها تتمنى أن يقوم زوجها بتلك الوساطة ، أن يعيد أختها الى بيتها ، فليس للمتزوجات غير بيوتهن وان فتح الآباء أذرعهم مرحبين . كانت أمها تقول لها دائما « هى الواحده تستريح الا فى بيتها ؟ » ، وكانت تعجب من قولها قبل أن تتزوج ، أما وقد تزوجت وأصبح لها مملكة صغيرة ترعاها فقد عرفت حقيقة ذلك القول .

وسارا يتحدثان ثم عادا الى البيت سيرا على الأقدام ، وصعدت أحلام لتستريح من رياضتها التى فرضت عليها وانطلق جلال لا يلوى على شىء .

كان شفيق فى البيت وحده تبدو عليه الكآبة والسأم . لقد اعتاد أن يجد نبيلة فى انتظاره ، واذا خرج خرجت معه :

صارت جزءا من حياته • انه لا يدرى لماذا تداعت بذهنه أيام
أيامه معها منذ أن غادرت البيت • انه يذكر ليلة الزفاف . فلو انها كانت ليلة بسيطة الا أنها كانت مترعة بالمتعة التى استقرت فى أغوار نفسه •

ان المتعة الحسية سرعان ما تتلاشى . ولكن متعة اتصاله بها لم تكن متعة مادية فحسب بل كانت امتزاج روح بروح ، ذوب نفس فى نفس • ولولا أنه بطبعه لا يحب أن يكشف عن حقيقة مشاعره لظل يقول لها انه يحبها •• يعبدها . الا أنه كان فى قرارة نفسه يعتقد أن تعرية الحب تفسده كما أن الطعام يفسد اذا ما تعرى •

ووسوست له نفسه فى لحظات أنه كان قاسيا معها يوم أن ثار فى وجهها لأنها حملت . واتهمته بمجافاة المنطق والذوق . ولكن غروره ثار على تلك الثورة وراح يقنعه بأن ما فعله كان جزاء وفاقا على أن خدعته وحملت على الرغم مما كان بينه وبينها من اتفاق •

طرق جلال الباب فنهض شفيق وقد تصارعته أحاسيس متباينة • ترى أعادت نبيلة لتعتذر ؟ ولم يصدق ذلك الخاطر فهو يعرفها شديدة الحساسية ، شديدة الاعتزاز بكرامتها . فاذا لم تكن نبيلة فمن يكون ؟

وفتح الباب فاذا بجلال أمامه . ومد بصره من فوق كتف

جلال ففطن جلال الى ما يرمى اليه فقال له :

ــ ما تخافش دانا لوحدى •

ــ أمال فين أحلام ؟

فقال جلال ليفتح بابا للحديث :

ــ ح تيجى لمين يا سى شفيق ؟ اللى كانت بتيجى لها مش هنا •

وانطلقا الى حيث كان شفيق جالسا فوقعت عينا جلال على منفضة السجاير . انها تكاد تطفح بأعقاب السجاير فقال جلال :

ــ ايه ده كله يا شفيق ؟ أنت كنت بتشرب خفيف •

ولاحظ الوجوم الذى كسا وجهه فأراد أن يرده الى طبعه حتى يستطيع أن يتجاذب معه أطراف الحديث دون ثورة أو انفعال • فمد يده وراح يقلب فى أعقاب السجاير ثم ابتسم وقال :

ــ براءة ، ما فيش ولا عقب فيه روج •

وابتسم شفيق وقام وهو يقول :

ــ قهوه واللا اجيب لك حاجه ساقعه ؟

ــ اذا كان ضرورى هات حاجه ساقعه ، مين عندك ح يعمل القهوه •

وأحس شفيق أن جلال ماجاء الا ليحادثه فى موضوع زوجه :

فسار الى الثلاجة على مهل يفكر ويرتب أفكاره . ثم عاد ليحمل زجاجتين ليمونادة وجلسا يشربان . قال جلال :

ـ ايه اللى عملته ده يا شفيق ؟ يبقى نبيله تستاهل منك ده ؟

فقال شفيق وقد بدأت دماؤه الحارة تتدفق فى عروقه :

ـ وكنت عايزنى أعمل ايه ؟ اتفقنا على حاجه وكان كله برضاها . نمت وصحيت عرفت انها كانت بتكذب على . كانت بتخدعنى .

ـ ما تقولش كانت بتخدعك . دى كلمه كبيره قوى . الناس تفتكر ايه ؟

ـ أمال اللى تبقى عايشه معاك شهرين وكاتمه عنك سرها تبقى ايه ؟

ـ يمكن ما كانتش عارفه .

ـ يا ربت . دى كانت مدبره كل شىء : دا اللى غايظنى .

ـ يا سيدى اللى حصل حصل .

ـ لا يا جلال ده مش كلام .

ـ طب وعايز ايه دلوقت ؟

ـ تنزل اللى فى بطنها . ولما تخلف يبقى باتفاقنا احنا الاتنين .

ـ وان ما نزلتوش ؟

ـ تفضل عند أهلها .

ــ قوم البس واخزى الشيطان • قوم •

ــ على فين ؟

ــ نروح نجيب مراتك •

فاذا بعناد شفيق يستولى عليه فقال :

ــ اذا رحت لهم برجليه معناها انى وطيت • وساعتها ح يركبوا ويهزوا رجليهم •

ــ كلام ايه اللى بتقوله يا شفيق ؟ ان رحت لهم تبقى صاحب مروءة ، غلطت ورجعت عن غلطك •

فغضب شفيق ونهض وقد استولت عليه عصبية وقال :

ــ أنا ما غلطتش ، هى غلطت مرتين ، مره لما ضحكت عليه ومره لما لمت هدومها وخرجت •

ــ هى لمت هدومها لما طردتها •

ــ أنا ما طردتهاش ، كنت متنرفز وكان من حقى انى اتنرفز • كان فيه ايه لو استحملتنى شويه •

فحسب جلال أنه ثاب الى رشده فقال له :

ــ خلاص يا سيدى ، انت غلطت وهى غلطت تبقوا خالصين • يالله نروح نجيبها ويا دار ما دخلك شر •

ــ سبق قلت لك ما اقدرش افتح بيتين ، ان خلفت ح ابيع العربيه • وأنا دلوقت مش مستغنى عن العربيه •

ــ يعنى مستغنى عن نبيله ؟

وصمت شفيق ولم يحر جوابا فقال له جلال :

ـ يا للا يا شفيق بلاش تعاند نفسك •

وضايق شفيق أن جلال بدأ يستشف خبيئته فقال فى اصرار :

ـ يوم ما تعرف انى بعت العربيه ؛ ساعتها بس أبقى ح ارجع نبيله •

ورأى جلال أن لا طائل تحت ذلك الحوار وأنه زج بنفسه فى مشادة خاسرة ، فقال :

ـ يا داخل بين البصلة وقشرتها ؛ ما ينوبك الا صنتها •

١٥

جاءت أحلام وجلال الى منزل أبيها فى الشهر الأخير . فوجدت أن من الأسلم أن تكون الى جوار أمها فاذا ما فاجأها المخاض كانت بين أهلها فى رعايتهم جميعا ، وهرعت نبيلة اليها تقبلها فقال سامى معلقا :

ــ ولاد الخاله يجوزوا لبعض ، ابعدى بطنك يا أحلام عن بطنها .

وأشرق وجه الأم بابتسامة عريضة وغمرها سرور فياض ، وكان حسين تتنازعه عواطفه لا يدرى أيفرح أم يرثى لنبيلة التى كانت أشبه بأرملة وان كان زوجها على قيد الحياة .

وقالت سوسن وهى تجذب أحلام من ثوبها :

ــ أبله أحلام . عارفه ح تنامى فى سريرى الليله دى . أبله نبيله بتنام فى سرير هاله .

فمالت أحلام وقبلتها وقالت لها :

ــ كتر خيرك يا حبيبتى .

وقال مراد فى سذاجة :

ـــ الحمد لله انكم جيتوا بعد الامتحانات ما خلصت •

ونظر اليه أبوه نظرة تأنيب ، فأطرق مراد وان لم يفهم سبب نظرات العتاب التى رماه أبوه بها ، وأقبل عاطف يحمل الكلب فقالت الأم غاضبة :

ـــ قلت لك الكلب ده ما ينزلش م السطح أبدا •

فقال عاطف مبررا ما فعل :

ـــ أنا لقيت العيله كلها هنا ما فيش حد غايب الا سوزى • قلت اجيبه •

وضع الكلب على الأرض فراحت أحلام تمسح له شعره فى حنان وتداعبه وتناديه :

ـــ سوزى •• سوزى •

والتف الأولاد حول سوزى يلاعبونه • واذا بفكرة تطرأ على ذهن مراد فيقول :

ـــ نسيب أحلام ونبيلة ينادوله • اللى يروح لها منهم تبقى ح تجيب ولد •

وعلى الرغم من سذاجة الفكرة فقد تأخر الجميع وتركوا أحلام ونبيلة تحاول كل منهما أن تغرى سوزى ليتجه اليها • وقد صادفت اللعبة هوى فى نفس زينب فتقدمت ترقب التجربة • أما حسين فقد منعه وقاره أن يشارك صراحة فيما أثار الحماس بين الجميع •

وذهب الكلب الى نبيلة ثم عطف على أحلام ، فاذا بزينب تتهلل بالفرح وتقول :

ـــ الاتنين ح يجيبوا ولاد •

وأشرق وجه الجميع بالغبطة ، واذا بجلال يقول لحماته :

ـــ بتحبى يا تانت الأولاد أكتر •

فقالت زينب فى انكار :

ـــ أبدا والنبى يا ابنى ، كلهم معزه واحده •

فقال سامى وهو يشير الى سوسن :

ـــ بقى انا عندك زى المفعوصه دى ؟

ـــ وتزيد عنها ايه ؟ لك طرطور واللا على راسك ريشه ؟

ورن جرس الباب فأسرعت سوسن اليه وكانت تسابق عاطف الذى جرى وجرى الكلب خلفه ، فلما فتحت الباب ظهرت جيهان فاذا بالكلب ينبح ، فتقهقرت وقالت :

ـــ حوشوا الكلب ده •

فهرع سامى ونحاه وقال لها :

ـــ اتفضلى •

ودخلت جيهان وأحلام ترنو اليها فى دهش ، وزادت دهشتها لما سمعتها تقول لسامى :

ـــ مبروك يا سامى ، نجحنا •

فقال لها سامى فى انشراح :

ـــ مبروك يا جيهان •

ـــ ودارت على عقبيها وقالت :

ـــ عن اذنكم •

فقال حسين :

ـــ ما بدرى ، اقعدى استريحى •

ـــ ما اقدرش . بابا مستنى تحت •

فقالت لها زينب :

ـــ ابقى تعالى •

ـــ من عينى يا تانت •

ـــ تعرفى تفصلى ولا تخبطى ؟

ـــ طبعا يا تانت •

فقالت زينب وهى تشير الى بطن أحلام ونبيلة :

ـــ تبقى تيجى تساعدينا فى خياطة هدوم النونو والنونو •

ـــ حاضر يا تانت •

وانصرفت جيهان وقالت أحلام :

ـــ ما قعدتش ليه ؟

فقال مراد :

ـــ أصل أبوها تحت •

ـــ طب ما طلعش ليه ؟

فقالت زينب فى لهجة عادية من كثرة ما كررت العبارة :

ـ بينكسف •

وقالت أحلام :

ـ عروسه حلوه يا ماما •

ـ دى بتذاكر مع سامى ومخطوبه •

وقالت نبيلة فى خوف :

ـ أنا ح اروح بكره أشوف نتيجتى •

فقال حسين :

ـ مضمونه • ما تتعبيش نفسك •

والتف مراد وعاطف وسوسن حول سامى وقالت له :



ـ انت عايز تاكل علينا الحلاوه كلنا ؟

ـ أبدا ، حالا ح احلى لكم بقكم •

وذهب الى أبيه وقال :

ـ كلهم طالبين حلاوة النجاح •

فقال حسين فى بساطة :

ـ طيب ما تجيب لهم •

ـ واجيب لهم منين ؟ ما فيش فلوس •

فقال حسين دون أن يتبرم أو يظهر عليه أى أثر للضيق :

ـ المحفظة فى جيب الجاكته جوه ، خد اللى انت عايزه •

كان حسين سعيدا لنجاح ابنه وكان واثقا من نجاح نبيله فلم يشأ أن يجعل أى شىء يؤثر على انشراح صدره . وكان على استعداد لأن يفعل كل ما فى وسعه ليجلب السرور الى قلوب أبنائه •

ودخل سامى وفتح حافظة أبيه فلم يجد فيها نقودا كثيرة . فسحب منها جنيها وأعادها الى مكانها وهو يحس نحو أبيه حبا عظيما امتزج باشفاق على الرجل الذى يحرم نفسه ليجود على فلذات أكباده • وهبط سامى مهرولا فاذا بعاطف وسوسن يجرون خلفه ليلحقوا به ، فانه لمنظر يرضى غرورهم أن يروا أخاهم الأكبر يشترى لهم حلوى بجنيه

وعاد سامى يحمل صندوق الجاتوه وراح يسأل وهو يستشعر أهميته :

ـ الشاى جاهز ؟

فقالت زينب وهى تدفع أحلام ونبيلة أمامها :

ـ كل حاجه جاهزه •

ودخلوا غرفة السفرة وجلسوا يشربون الشاى ويأكلون الجاتوه • وتلفت عاطف وفى غفلة من الجميع أخذ واحدة وانطلق الى سوزى وراح يطعمها للكلب فما كان يستطيع أن يحتمل أن تأكل الأسرة كلها ويحرم الكلب •

وتلفتت نبيلة تبحث عن شىء •• انها فى حاجة الى كوب ماء • فلما لم تجد قالت لمراد :



ــ والنبى يا مراد ناولنى كباية ميه •

ونهض مراد متبرما وقال لنفسه وهو فى طريقه الى المطبخ :

ــ هو احنا بنجوزهم علشان يرجعوا لنا تانى !

وعاد مراد يحمل كوب الماء وقدمه الى نبيلة وقال :

ــ اتفضلى •

وقبل أن يجلس قال :

ــ حد عايز حاجه قبل ما اقعد ؟

فقال له سامى ليغيظه :

ــ ح تقعد ليه ؟ ما كل حاجه خلصت •

وظهر الضيق فى وجه مراد •• أأرسل ليحضر ماء ليحرم من الجاتوه ؟ ولم يطل ضيقه فان زينب قدمت له واحدة وهى تقول له :

ــ ما تزعلش •• أنا شلت لك دى •

وتناولها مراد وراح يقضمها وهو واقف فما كانت تستأهل أن يجلس • ونهض حسين وقال :

ــ اتمسوا بالخير •

وذهب الى غرفة النوم ، وقالت زينب لهالة وعاطف :

ــ تعالوا انتو ح تباتوا معانا من النهارده •

فقالت أحلام :

ــ خلى هاله تنام جنبى وعاطف ينام جنب نبيله •

فقالت الأم وهى تبتسم .

ــ هو ده معقول ؟ دول بيرفسوا طول الليل •

فقالت أحلام فى أسف :

ــ ح نضايقكو •

ــ ما تقوليش كده •• السرير واسع يساعنا وزياده •

ودخلت زينب الى غرفة النوم تسوق أمامها عاطف وهالة • وما أن أغلقت الباب حتى راحت تفرش لعاطف فراشا على الأرض وأنامت هالة بينها وبين حسين • وما أن أغمضت هالة عينيها حتى تحركت بحيث أمسى رأسها فى بطن أمها ورجلاها على بطن أبيها •

١٦

كانت أحلام فى سريرها ونبيلة فى سريرها وقد راحت نبيلة فى النوم • كانت تتحدث كعادتها فى نومها وما كانت أحلامها تدور حول المدرسة وما فعلته فى يومها كما كان ذلك شأنها قبل أن تتزوج ، بل كانت تحلم بشفيق ؛ فما أكثر ما نطقت اسمه فى حنان وما أكثر ما نادته وهى غاضبة •

وكانت أحلام تتلوى من الألم • انها كانت تحس أن شيئا يتحرك فى أحشائها ، وقد خطر على بالها أكثر من مرة أن تنهض وأن تطرق باب نوم أمها ؛ ولكنها كانت تشفق على أبيها فما كانت تحب أن تقلق راحته •

واشتد بها الوجع فنهضت وهى تضع يدها فى وسطها كأنما تمسك شيئا خشية أن يسقط ؛ وسارت الى غرفة نوم أمها ورفعت يدها لتدق الباب ولكن خجلها منعها فعادت وهى ترجو أن تستيقظ نبيلة ، الا أن نبيلة ظلت تجتر أحلامها •

وفى الصباح نهضت زينب وكان أول ما فعلته أن انطلقت الى حيث أحلام ونبيلة • فألفت أحلام تتأوه فقالت لها :

ــ صباح الخير .. نمتى كويس ؟

ــ صباح النور يا ماما . طول الليل بتألم م الوجع •

واستيقظت نبيلة على الحديث الدائر بين أمها وأختها فجلست فى الفراش تفرك عينيها ، سمعت أمها تقول لأحلام :

ــ وحاسه بايه دلوقت ؟

ــ كأن ايد هون بتدق فى ضهرى •

ــ تبقى ح تولدى ••

فغادرت نبيلة الفراش وقالت :

ــ مستنيين ايه ؟ ما تبعتوا للدكتوره •

فقالت الأم فى ثقة :

ــ لسه بدرى يا نبيله •• البكريه تطول شويه •

وذهبت نبيلة الى الحمام فاذا بها تلقى سامى عند الباب وقد وضع فوطة فوق كتفه ، فلم تسرع لتدخل كما كانت تفعل وتغلق الباب خلفها بل تأخرت خطوات وقالت وهى تفسح الطريق أمام أخيها :

ــ اتفضل •

فالتفت سامى اليها وقال .

ــ كبرنا وعقلنا •

وما كاد يتم كلامه حتى جاءت سوسن تجرى واندفعت الى الحمام وأغلقت الباب خلفها ، فاذا بسامى يثور ويقول لها مهددا :

ــ بس لما تطلعى أنا ح اوريكى •

فابتسمت نبيلة فما حدث يذكرها بأيام سعيدة مرت بها ـ أيام لم تعرف حقيقة قيمتها الا بعد أن فقدتها • ثم التفتت الى سامى وقالت له :

ــ بكرة تكبر وتعقل •

ولم تحتمل أحلام الآلام التى كانت تموج فى جنباتها ـ فغادرت الفراش وأخذت تقطع الشقة جيئة وذهوبا . حتى اذا لمحت أباها يخرج من غرفته سعت اليه وتعلقت به وهى تقول :

ــ ح اولد ازاى يا بابا ؟

فقال الرجل وهو يتصنع الهدوء :

ــ ما اعرفش •• دى حكمة ربنا . اللى اعرفه انك ح تولدى •

وغادر الرجل البيت ليذهب الى عمله . وراحت أحلام تتلوى وتصرخ فينتاب الفزع نبيلة فلا تجد الا أن تذهب الى أمها وتقول لها :

ــ ما تبعتى تجيبى الدكتوره •

ــ لسه يا نبيله •

ــ ولو نزل دلوقت ؟

ــ ح استلقاه على ايديه •

ونظرت اليها نبيلة فى ضيق وعيناها تقولان : يا قلبك •
واستمرت أحلام تتلوى وقد ارتفع صراخها فقالت نبيلة :
ـ ان ما بعتيشى يا ماما للدكتوره ح اروح لها انا •
فنزلت الأم على رغبتها وقالت لها :
ـ ح ابعت لها وروحى انتى سخنى الميه •
وراحت زينب الى حيث كان أولادها وقالت لهم :
ـ مين فيكو بروح بنده للدكتوره ؟
فصمتوا جميعا •• فقالت زينب :
ـ اللى يروح فيكو ح اديله قرش •
فقال عاطف فى حماس :
ـ أنا ••
ـ شاطر •• روح قل لها تعالى حالا ـ أحلام بتولد •
ـ هاتى القرش قبله •
فمدت يدها فى صدرها وأخرجت منديلا بسطته وأخذت قرشا من بين النقود وأعطته عاطف ، فراح عاطف يهرول هابطا واذا بالكلب يهبط من السطح ويقتفى أثره •
ودخلت الأم غرفة أحلام وأخذت تعيـــد تنسيقها وتخرج الثياب والأقمشة التى سيلف فيها المولود ، واشتد صراخ أحلام فقالت لها أمها :
ـ دى طلقة ولد •
فقالت أحلام متبرمة :

ـ أنا لا عايزه ولد ولا بنت •• عايزه اللى فى بطنى ينزل ويريحنى •

وجاءت الدكتورة ودخلت مسرعة ، وسارت الى حيث كانت أحلام فألفتها تتألم وتتلوى . فنظرت الى زينب وقالت مستأذنة :

ـ أديها حقنة تحمى انطلق ؟

فقالت زينب وقد لاح فى وجهها فزع :

ـ لا ياختى •• أنا ما احبش الحقن •

ودخلت نبيلة عليهم وقالت :

ـ جلال جه •

فصاحت أحلام :

ـ هاتوه يولد معايا •

وصل قولها أذنى جلال فانكمش ، فجاءه سامى وقال له مداعبا :

ـ ما تخش تولد معاها ، بس فالح تعملها •

ولم يبتسم جلال •• كان مشفقا على زوجه يتعجل ولادتها لينتهى ما هى فيه من عذاب • وراح يغدو ويروح وقد صار كله آذانا . انه يسمع كل همسة فى الحجـرة . بلغه قول الدكتورة :

ـ اتفضلى انتى بره بقى •

فراح يرقب الخارج وسمع الأم تقول :

ـ ناوليها الميه السخنه •• لأ ما تشيليهاش انتى •• خلى
...مى واللا مراد يجيبها •

وأسرع جلال الى المطبخ وعاد يحمل طستا به ماء يغلى .
فاذا بنبيلة تقابله فى منتصف الصالة فتقول له :

ـ عنك انت •

فيأبى أن يترك الطست لها فتسير الى جواره حتى اذا
بلغا باب غرفة أحلام قالت :

ـ خدى الميه من جلال يا ماما •

وتفتح زينب الباب وتأخذ منه الطست وتقول :

ـ ابد ما نعدمها •

ويأتى حسين ويرى بخار الماء يملأ جو البيت فيقول :

ـ هى لسه ما ولدتش ؟ !

فيرد عليه جلال :

ـ لسه يا عمى •

ويفطن حسين الى وجود جلال فيقول له :

ـ ازيك يا جلال •• ما تآخذنيش يا ابنى •

ويجول جلال وحسين خلال الشقة وقد لفهما قلق ، ولم
يحتمل حسين ذلك فالتفت الى جلال وقال :

ـ أنا نازل الشارع اتمشى •• تيجى معايا يا جلال ؟

ـ أنا ح افضل هنا •

ـ لما تولد ابقوا قولوا لى •

وخرج حسين وأولاده يرقبونه فى دهشـــة فما كانوا بقادرين على أن يعرفوا حقيقة شعوره . وراح جلال يرصد الساعة التى فى الصالة . انها تسير ببطء شديد كأنما الزمن قد توقف . واتجهت نبيلة الى باب الغرفة تتصنت فاذا بسامى يذهب اليها ويقول لها وهو يجذبها من يدها فى رفق :

ــ تعالى استريحى .

وارتفع صراخ مولود واذا بالبشر يكسو جميع الوجوه . حتى هالة تهللت بالفرح . ومر وقت ثم خرجت زينب لجلال وقالت لجلال :

ــ تتربى فى عزك .

ــ مرسى يا تانت .

وقال سامى فى عدم ارتياح :

ــ بنت .. أنا ما احبش البنات .

فقال جلال فى استسلام :

ــ كل اللى يجيبه ربنا نعمة .

والتفتت زينب الى سامى وقالت :

ــ ربنا مش ح يرزقك الا بالبنات .

وخرجت الدكتورة وقالت لجلال :

ــ تقدر تتفضل دلوقت .

ودخل جلال وانسل عاطف خارجا فى أثر الدكتورة .

نظر جلال الى زوجه فى حب ثم قال :

ــ حمد الله على سلامتك •

وابتسمت أحلام وقالت له :

ــ قربهولى شويه أشوفه •

وظهر فى وجه جلال دهشة ، وقال وهو يميل فوقها ويجذب فراش الطفل ليقربه منها :

ــ أمال ماما قالت بنت ازاى ؟

ــ خايفه لا يتحسد •

فنظرت الى الوليد وقد نسيت كل آلامها ، وتحركت أمومتها فقالت :

ــ مش حلو يا جلال ؟

ونظر اليه جلال فلم ير الا قطعة لحم أحمر فقال :

ــ ح يطلع وحش لمين ؟

ودخل حسين فاذا بأولاده جميعا يدخلون حوله وقد أمسك عاطف بيده كأنما يقول انه هو الذى استدعاه . فلما رأى ابنته خفق قلبه فى حب وقال فى فرح فياض :

ــ حمدا لله على سلامتك •

ــ مرسى يا بابا •

وقال له جلال وهو يشير الى ابنه الذى استقبل الدنيا بالبكاء ثم استسلم لتضائه :

ــ شوف حسين الصغير حلو ازاى •

فاذا بابتسامة تتوج جميع الشفاه . واذا بالدموع تترقرق فى عينى زينب فتتسلل لتكفكفها بعيدا •

١٧

ودخل حسين وزينب محلا فاخرا لشراء هدية للمولود . واتجها الى جناح الأطفال فرأى حسين ثوب طفل فأخذه بين يديه يقلبه ثم قدمه الى زوجه وهو يقول :

ــ ايه رأيك فى ده ؟

فنحت زينب يده بالثوب بعيدا عنها وقالت :

ــ الهدوم عنده كتير .

وأعاد حسين الثوب الى مكانه وتناول عروسة صغيرة وقال لزينب :

ــ وايه رأيك فى دى ؟

فقال وهى تجول بعينيها فى المكان تبحث عن شىء :

ــ ح بعمل بيها ايه ؟ ده لسه ما يفهمش . نجيب له حاجه تنفعه .

وفطن حسين الى أنها تبحث عن هدية غالية ؛ فرأى ذلك الشىء المصنوع من جلد أزرق الذى يوضع فيه الطفل ويحمل بعلاقتين فى يد الأب والأم فى أثناء الخروج فرفعه فى يده وقال لزينب :

ــ أفتكر ده مناسب •

فقالت زينب وهى تقلب عينيها فى المكان :

ــ قربت •

ووقعت عيناها على بغيتها ، انها عربة صغيرة لها كبود ضخم يفتح ويغلق يوضع فيها الطفل وتدفع باليدين تصلح للشتاء والصيف . فانجذبت اليها وسارت وحسين يتبعها حتى اذا ما قبضت على يدها المصنوعة من معدن لامع ودفعتها الى الأمام وجذبتها الى الخلف تختبر متانتها قالت :

ــ هى دى •

ونظر حسين الى الصندوق المصنوع من الجلد الأزرق وقال :

ــ وماله ده ؟

ــ دا ما يستعملش الا والنونو صغير ، تو ما كبر مبقاش له قيمه . انما دى ممكن تتحط جنب سريرها وتبقى له سرير •• يعنى كلها فوايد •

ولما كان حسين قد تعلم أن لا فائدة من الاعتراض استسلم . وقالت زينب للرجل الذى كان فى خدمتهما :

ــ ممكن تبعتوه ع البيت ؟

ــ بكل ممنونية يا افندم •

ــ طب اديله العنوان يا حسين •

ــ ما ناخدها معانا ؟ •

ــ لأ • ح نشترى حاجات تانيه •

وأعطى حسين الرجل العنوان وذهب يدفع الفاتورة وهو يتلفت خشية أن تشترى زوجه شيئا آخر •

وانصرفا الى الغورية وراحت زينب تشترى المغات والشمع فأتت على الشمع الذى كان موجودا بالمحل ، ثم انتقلت الى محل آخر واشترت كل ما فيه من شمع وقالت للرجل :

ــ ما تعرفش نشترى فول مقشر وحمص منين ؟

ــ فيه مقله هناك حاجاتها كويسه •

وسارت تشق طريقها فى زحام الغورية وحسين يحمل ما اشترته ؛ وعلى الرغم من الزحام راحت تحدثه وتقول :

ــ فين أيامنا الحلوه •• أيام الفستق والبندق واللوز ؟ مين كان يصدق ان ح تيجى علينا أيام نفرق فيها سـودانى وحمص وأرواح فى السبوع •• زمن !!

وذهبا الى المقلى واشترت زينب ما شاءت وحسين واقف متبرم . حتى اذا ما حملت ما اشترت قالت له :

ــ السودانى بقى أغلى ما كنا بنشترى الفسدق !

وصمت حسين ثم قال :

ــ تعالى نشوف تاكس •

ــ لسه •

ــ لسه ايه كمان ؟

ــ ما اشتريناش الفراخ •

ــ يعني ضروري النهارده •

ــ يا نهارى : أمال أحلام تتنفس بابيه ؟ دى الوالده أول ما تنزل العيل لازم تحط فرخه تسند بيها بطنها •

فقال حسين ساخرا :

ــ والفراخ دى مش عايزه تلاجه ؟ ما تيجى نشترى تلاجه قبله ؟

ولم يعجبها سخريته فقالت فى عتاب :

ــ هو انا عقلى طاقق لأد كده ؟ التلاجه عند جلال ندبح الفراخ ونضفهم ونوديهم عنده ؛ وكل يوم وهو جاى يجيب فرخه معاه •

ــ وايه لازمة البعتره دى كلها ؟

ــ خلينا نشرب ونفرح وجيراننا يشربوا ويفرحوا • مش ده أحسن ما كانت المستشفى تلهف الفلوس ؟

وأطرق حسين لحظة ثم قال :

ــ ما نشترى فراخ م الجمعيه ولا تعب ولا تنضيف •

ولوت زينب شفتها وقالت :

ــ هى دى فيها بر ، دى شربتها زى مية الفول النابت •• البلدى بلدى •

وسار معها مستسلما الى الفراوجى . فراحت تحمل الدجاج تزنه فى يدها قبل أن تسمح بوضعه فى الميزان . واشترت خمسة أزواج وحسين ينظر صامتا ثم قال :

ــ ما يدبحهم وينضفهم :

ــ أنا اللى حادبحهم فى البيت بايدى .

ــ وح ناخدهم ازاى ؟

ــ حد يحطهم فى قفص وييجى معانا .

هذا ما كان فى حسبانها : انها تريد أن تعود محملة وأن يسير خلفها من يحمل قفص الدجاج وأن يتحدث الجيران بما جلبت لابنتها . وقبل أن تتحرك للانصرف قالت لحسين :

ــ نسينا السمن ، أمال ح نعمل المغات بايه ؟

ــ ومين ح يشيله واحنا محملين زى الحمير ؟

ــ اللى يشيل قفص الفراخ على راسه ياخد السمن فى ايده .

وانطلقت الى بقال وحسين يتحكم فى عواطفه وان كان سينفجر من الغيظ . واشترت صفيحة سمن صغيرة وناولتها للرجل الذى كان يحمل قفص الدجاج فوق رأسه ، فالتقطها فى يده يسرى الركب فى الطرقات وقد وسعت زينب من خطوها فهى تريد أن تصل الى البيت قبل سقوط الليل .

ولمحت سيارة المحل الذى اشترت منه عربة المولود واقفة

أمام دارهم فاستشعرت زهوا . وسمعت صوت الكلاكس المتصل فاذا بسعادة تغمرها : فالكلاكس سيجذب الجيران الى الشبابيك والشرفات وهذا غاية أمانيها ليروا ما جلبت من طيبات ..

وفتحت النوافذ والشرفات . وخرج سامى ومراد والأولاد الى الشرفة . فلما رأوا والديهم قادمين هرعوا هابطين فى الدرج مسرعين ، وجرى سامى ليحمل عن أبيه ما كان ينوء به ولكن أمه قالت بصوت عال لا لتسمعه وحده بل لتسمع الجيران :

— روح انت يا سامى استلم منهم العربيه .

وكانت العربة قد خرجت من جوف السيارة واستقرت على الأرض فذهب سامى ليتسلمها . وحمل مراد وعاطف وسوسن ما كان يحمله أبوهم والتفوا حول أبويهم فرحين ؛ فسارت زينب تكاد أعضاؤها تهتز سرورا . وبين وقت وآخر تلتفت الى الرجل الذى يحمل قفص الدجاج ويسير خلفهم كأنما كانت تعلن للملأ أن الدجاج دجاجها .

١٨

ذبحت زينب الدجاج ووضعت صفيحة ماء على وابور الجاز وذهبت لتقدم لأحلام العشاء ، فوجدت أن هالة قد وضعت فى العربة وأن سوسن وعاطف يتشاجران على من يدفعها أمامه فصاحت فيهم :

ـــ ايه المسخره دى ؟ هى دى كمان لعبه •

وأنزلت هالة ، فلما وجدتها ستبكى قالت لها :

ـــ تعالى نضفى الفراخ معايا •

فقال عاطف :

ـــ وأنا •

ـــ وانت •

وقالت سوسن :

ـــ وانا كمان •

ـــ وانتى كمان •

ودفعت العربة أمامها ووضعتها الى جوار سرير أحلام وقالت لها :

ـــ استعمليها بالليل •

ووضعت صينية الطعام فى حجر أحلام ، ومالت على الطفل تقبله فى حب ثم خرجت وهى تنادى :

ـــ سامى ، مراد ، نبيله ، سوسن . عاطف • تعالوا كلكم اشتغلوا •

واتجهت الى المطبخ فاذا بجميع الأولاد يلحقون بها ، فوضعت طستا كبيرا فى الوسط وقالت للأولاد :

ـــ هاتوا كراسى المطبخ واقعدوا عليها •

فأتوا بها وتحلقوا الطست ، وأنزلت صفيحة الماء المغلى من على الوابور وراحت تغمس الدجاج بها وتلقى به فى الطست ، فيتناول كل واحد من أولادها دجاجة ينتف ريشها •

وجاءت هالة وحاولت أن تلتقط دجاجة وأن تفعل كما يفعل اخوتها فاذا بالدجاجة تلسعها فتبكى فتضمها نبيلة الى صدرها ، ويأتى حسين ليرى ما الذى أبكاها فتقول زينب له :

ـــ ما تقعد معانا تساعدنا •

فجلس بعد أن أفسح له سامى مكانا وراح ينتف ريش دجاجة ، فامتلأ المكان بالريش •

وقال عاطف وهو يجاهد لينزع ريش جناح الدجاجة التى كان ينظفها :

ـــ اليومين دول سوزى ح يهيص •

فقال له مراد :

ــ ده احنا اللى ح نهيص .

وانسحبت هالة ونامت فى الصـــالة ؛ وبعـــدها انسحب عاطف ؛ وأرادت نبيلة أن تنسحب فقد مشى التعب فى أوصالها فقالت وهى تنهض :

ــ أما اشوف الأولاد ناموا فين .

وذهبت الى حيث كانت هالة وعاطف فأيقظتهما فى رفق وقادتهما الى سرير أبويها . ولم تعد تستأنف عملها بل تمددت الى جوارهما . ولولا خجلها لدخلت لتنـــام فى سريرها . وسرعان ما انسحب سامى ثم مراد ، فلما دقت الساعة الثانية عشرة لم يكن فى المطبخ سوى حسين وزينب وسوسن .

ووضعت زينب الدجاج فى مصفاة كبيرة وقالت :

ــ الصبح نخلى جلال ياخدهم ويحطهم فى التلاجه .

فدنت سوسن من أمها وقالت لها :

ــ عايزه كبده .

لم تكن سوسن تنتظر بلا هدف بل كانت تريد أن تأكل أكباد الدجاج . وقد صادفت الفكرة هوى فى نفس الأم فراحت تحمر أكباد الدجاج ثم أخذت تأكل مع سوسن وتغرى حسين على مشاركتهما فيه ؛ ولم يستطع مقاومة اغراء الروائح التى ملأت أنفسه . فأقبل يأكل متلذذا حتى كاد ينسى النوم الذى كان يداعب عينيه .

وبعد أن أكلا لحا نبيلة تنسحب الى غرفتها . فقالت
نها أمها بعد أن فطنت الى أنها لم تدعها على الطعام :
ــ تعالى يا نبيله حمرى لك حتتين وكلى .
فقالت نبيلة وان أسالت الرائحة المنبعثة من المطبخ
لعابها :
ــ أنا اتعشيت يا ماما مع سامى ومراد .
ــ ودخل الجميع ليناموا ، فوجدت نبيلة أختها أحلام
ترضع ولبدها فقالت وهى تبتسم :
ــ هربتى من الجامعه عشان ما تسهريش . أهو سهرك .
فقالت أحلام فى رضا :
ــ بس ده سهر لذيذ .
وفى الصباح الباكر نهضت زينب تقدح السمن للمغات
فاذا بالشقة كلها تعبق برائحة السمن المقدوح . وهرعت
نبيلة الى المطبخ تعاون أمها قالت :
ــ أساعدك فى حاجه ؟
ــ حمصى الفول السودانى .. قال فول سودانى قال
.. فين المكسرات ؟ هو المغات يبقى مغات الا لما يبقى السمن
فوق وشه قيراطين ويتملى بالمكسرات .
واستيقظ كل من فى البيت فنادت على سوسن وقالت لها :
ــ خدى سلطانية المغات دى اديها لام محمد جارتنا ،
وقولى لها خلى الأولاد ييجو فى السبوع .

وخرجت سوسن تحمل السلطانية . ونادت زينب على عاطف وقالت له :

ــ ودى المغات ده لخالتك أم اسماعين وقول لها خلى الأولاد ييجوا فى السبوع •

ونادت مراد وأرادت أن تحمله حلة مغات ليذهب بها الى الجيران فأبى وقال لها :

ــ ادى عاطف قرش وهو يوزع لك المغات ع الجيران كلها •

والتفتت نبيلة الى أمها وقالت :

ــ انتى ح تفرقى مغات ع الجيران كلهم ؟ ح تكفى عليهم منين ؟

ــ خير ربنا كتير •

وتناولت فنجانا كبيرا ملأته مغاتا ورشت فوقه السودانى المطحون وذهبت الى حسين وقدمته اليه . واعتذر حسين بأنه لا يستطيع أن يشرب على الريق كل ذلك الدسم . قالت له :

ــ اشرب يا حسين انت ح تعمل زى الجيل الخرع ده ، دانا ابويا الله يرحمه ما كانش يفطر الا بطاجن سمك •

وتناول حسين الفنجان كارها وراح يشرب قبل أن يحلق ذقنه •

وجاء سامى وهو يحمل صحف الصباح وهو يقرأ فيها فناول أباه صحيفة وأخذ أخرى يتصفحها . فأقبلت سوسن

ودخلت على أبيها تروى له ما فعلته فهى لا ترى شيئا ولا تفعل شيئا الا وتحكى عنه لا تقدر على الكتمان . قالت :

ــ وديت المغات لام محمد وعم محمود وست زهيره وست فردوس ولكل الجيران اللى فى بتنا وقلت لهم خلوا الأولاد ييجوا فى السبوع •

ــ ودبتى لكل دول ؟

ــ آه وعاطف ودا للجيران اللى قدامنا والى جنبنا •

ونحى حسين الفنجان جانبا وذهب الى حيث كانت زينب • انها كانت فى طريقها الى أحلام تحمل لها الافطار فقال لها فى غضب :

ــ انتى ناويه تعملى ايه يا زينب ؟

ــ سبوع : انت فى ديك الساعه اللى بقيت فيها جد •

ووقف يتلفت فى حيرة وغابت زينب فى غرفة بنتها •

ودق جرس الباب فراح حسين يفتح فاذا مصطفى علوان وزوجه قد أقبلوا ليروا حفيدهم : فما أن رأى مصطفى حسينا فى جلبابه حتى قال له : •

ــ لا مؤاخذه ، النهارده الجمعه وجينا بدرى •

ــ البيت بيتكم اتفضلوا •

ودخلا وفى يد أم جلال صندوق شـيكولاتة ، وبلغت الأصوات أذنى زينب فخرجت ترحب بهما وتبـادلت المرأتان القبلات : ثم قالت أم جلال :

ـــ مبروك ما جالكو •

فقالت زينب وقد أشرق وجهها سرورا :

ـــ مبروك ما جالنا كلنا •

ودخل الجميع غرفة أحلام فوضعت أم جلال صندوق الشيكولاتة قريبا من امرأة ابنها بحيث تراه . ثم مالت عليها وهى تقول :

ـــ ألف حمد الله على سلامتك •

وقبلتها . وقال مصطفى علوان :

ـــ مبروك ! يتربى فى عزكم •

وجلس وجلست زوجه ؛ وذهبت زينب وحملت الوليد ودفعته الى جدته وهى تقول :

ـــ شوفى حسين حلو ازاى ؟

وتعكر صفوها لما حك أذنيها اسمه ، ولكنها تناولته على كفيها وهى تقول :

ـــ بسم الله الرحمن الرحيم ••

وتطلعت فى وجهه ثم التفتت الى أحلام وقالت :

ـــ منين جبتى الوحاشه دى ؟ أبوه حلو وانتى حلوه •

فقالت أحلام :

ـــ لأ يا نينه . ده قمر •

ودفعته أم جلال فى رفق الى زوجها فراح مصطفى ينظر اليه وقد تحركت عواطفه فاذا باشراقة كبيرة تكسر وجهه •

وأخرج من جيبه ورقة من فئة الخمسة الجنيهات ووضعها على صدره • وقدم الطفل الى حسين الذى كان يرقب ما يجرى منفعلا فهو لا يصدق أنه أصبح جدا ، ولما رأى يد مصطفى ممدودتين بالطفل قال وهو يتقهقر اشفاقا :

ـ لأ لأ • أنا ما حبش اشيلهم وهم صغيرين كده •

وتناولت زينب الطفل وأعادته فى خفة الى جوار أمه ، فقال حسين وهو يرنو اليه :

ـ سبحان الله ! بقى ده يكبر ويمشى ويبقى راجل ؟

فقال مصطفى فى فرح :



ــ ويجوز ويخلف ويبقى جد •

وانتهت الزيارة فخرج حسين وزينب خلفهما يودعانهما ، وقبل أن ينصرفا قالت زينب :

ــ ما تتأخروش عن السبوع •

فقال مصطفى فى صدق :

ــ هو احنا بقينا نقدر •

وأغلق الباب خلفهما ، فراح حسين ينظر الى زوجته فى عتاب ويقول لها :

ــ ايه اللى بتعمليه ده ؟

ــ كمان مش عايز جده وتيته يحضروا السبوع ؟ !

وهبت أم جلال وزوجها وهى تتلهف على الابتعاد ، فلما وصلا الى الطريق قالت :

ــ شوف ابنك الخايب ، سمى ابنه على اسم حماه ، كان الأصول يسميه مصطفى ، ده حتى اسم مصطفى جلال لايق اكتر من اسم حسين جلال !

ولزم مصطفى الصمت ، كان لا يحب أن يثير موضوعا للنقاش لا طائل تحته ، وضايقها صمته فأرادت أن تحرك لسانه قالت :

ــ ح تيجى السبوع ؟

ــ ودى فيها كلام ؟ سموه حسين جلال سموه مصطفى جلال أنا قلبى انفتح له •

١٩

وضع الفول والحمص كوما فى وسط المائدة . وذهبت زينب وسرعان ما عادت بصندوق الشيكولاتة الذى جاءت به أم جلال وصبت ما فيه فوق الفول والحمص وراحت تقلب الكوم بيدها ، وجلس أبناؤها جميعا حول المائدة ولم يغب منهم أحد . حتى الكلب سوزى كان يمرح حولهم •

كانوا قد قطعوا ورق السوليفان مربعات صغيرة ليلفوا الفول والحمص والشيكولاتة التى ستوزع على الصغار فى « السبوع » وقالت الأم :

ــ ما فيش اكتر من حتة شيكولاتة واحده فى كل لفه •

فقالت نبيلة وهى تلف ورقة وتربطها بخيط :

ــ الشيكولاتة مش ح تكفى •

فقالت زينب فى ايمان :

ــ دلوقت ربنا يرزق •

ورن الجرس فتركت سوسن ما فى يدها وجرت لتفتح ، وسرعان ما جاء صوتها معلنا عن القادم :

ـــ تانت جيهان •

وقامت زينب تستقبلها فتهللت بالفرح فقد رأت فى يدها صندوق شيكولاتة . فاندفعت اليها تضمها الى صدرها وتقبلها وتقول :

ـــ ليه التعب ده ؟

ـــ ما فيش تعب ولا حاجه •• دا سامى قال لى امبارح قلت آجى أبارك لكم •

وتقدمت نبيلة تصافحها ولكنها رأت أن تقبلها . فأمها قد فعلت ذلك ولا يليق أن تكون التحية بين الشباب أقل حرارة من تحية الشيوخ للشباب •

ودخلت جيهان غرفة أحلام واذا بسامى يقبل وقد خلع البيجاما وارتدى القميص والبنطلون • وجد أن ذلك أليق • ولما لمح جيهان تضع صندوق الشيكولاتة حيث وضعت أم جلال الصندوق الذى أتت به أراد أن يطمئنها الى أنهم شاهدوه قال :

ـــ متشكرين •

وأسرعت زينب تعد لها فنجان مغات يليق بالهدية التى حملتها . وسرعان ما عادت به وقدمته الى جيهان وهى تقول :

ـــ اتفضلى عقبال ما نشرب الشربات يوم فرحك والمغات يوم عوضك •

وتناولت الفنجان فى خجل ورشفت منه رشفة قرأ سامى بعدها فى وجهها عدم رضا فقال :

ـــ بلاش اذا كنتى ما بتحبيش . نجيب لك حاجه تانيه ؟

ـــ أبدا . ده لذيذ . بس سخن .

وكانت زينب قد استاءت من قول ابنها . فلما أبدت جيهان رضاها عنه قالت :

ـــ يا خساره يا سامى ماليش بخت معاكم .

وأرادت نبيلة أن تغير الموضوع فقالت لجيهان :

ـــ خطيبك اتخرج ؟

ـــ أيوه .

فقالت أحلام :

ـــ وح تتجوزوا امتى ؟

ـــ أول ما نلاقى شقه فاضيه .

فقالت نبيلة :

ـــ ربنا يهون . لولا جوزى كان فى بيتهم شقه فاضيه كنا زماننا مخطوبين لغاية النهارده .

ولاحظ سامى وأحلام أن هذه أول مرة تذكر فيها زوجها فتبادلا النظرات . ولم تر زينب فى ذلك ما يدعو الى الملاحظة أو الاستغراب فقالت لتجامل جيهان :

ـ ح تفرج ـ الحكومه قالت ح تبنى شقق للعرسان •
فقال سامي بسخرية :
ـ قالت •
وسألت نبيلة جيهان :
ـ وناويه تكملى بعد الجواز ؟
ـ طبعا •
وقالت أحلام :
ـ واتفقتوا انكم ما تخلفوشى الا بعد ما تخلصى الجامعه ؟
ـ طبعا •
فالتفتت أحلام الى نبيلة وقالت :
ـ كلهم بيتفقوا فى الأول على كده وبعدين يفهموا •
وقالت نبيلة مؤيدة أختها :
ـ ما فيش ست يا جيهان تستحمل تضيع شبابها من غير ما تخلف •
فقالت جيهان في تحد :
ـ أنا •
فقالت نبيلة فى استسلام :
ـ كلنا قلنا كده •
وكانت زينب تتململ فى جلستها • لم تكن ضيقة بالحديث الدائر ولكنها كانت تتلهف على أخذ الشيكولاتة التى جاءت

بها جيهان لتصبها فوق كوم الفول والحمص وتخلطها به •
وجاءت سوسن وقالت :

ـ انتو ح تقعدوا هنا على طول ؟ أمال مين اللى ح يلف الشيكولاته ؟

ونهرها سامى قائلا :

ـ امشى دلوقت •

وارتاحت زينب لما فعلته ابنتها فنهضت وقالت :

ـ جيهان مش غريبه تيجى تشتغل معانا ، نتعب لها فى يوم فرحها •

فقالت جيهان وهى تنهض دون أن تدرى ماذا ستفعل :

ـ قوى يا تانت •

وساروا الى غرفة الطعام . وتذكرت زينب شيئا فعادت وأخذت علبة الشيكولاتة واتجهت بها الى حيث ذهبوا •

ورأت جيهان كوم الفول والحمص والشيكولاتة . ورأت مراد وسوسن منهمكين فى لف ورق السوليفان ففطنت الى ما ستفعله فجلست • وأقبلت زينب وقد نقلت الشيكولاتة التى جاءت بها جيهان الى علبة الصفيح وصبت الشيكولاتة فوق الفول السودانى والحمص وراحت تقلبه ، ورماها عاطف بنظرة متسائلة وقال :

ـ منين يا ماما جبتى الشيكولاته دى ؟

فلكزته من تحت المنضدة وكانت كل قسماتها تصرخ فيه : اسكت .

وجلست جيهان وجلس سامى قبالتها وراحوا جميعا يعدون لفافات اليمين التى ستوزع على الصغار والكبار فى « السبوع » . وراحت هالة تحاول أن تبعثر ما تصل اليه يدها وأمها تحجزها .

وغافل عاطف أمه وسرق قطعة شيكولاتة وقشرها وناولها للكلب . ولمحته سوسن فقالت :

ـــ ماما الحقى . عاطف بيأكل الكلب شيكولاته .

فقال عاطف متبجحا بعد أن انكشف أمره :

ـــ هو يعنى اللى ح يكلوها احسن منه ؟

وأرادت زينب أن تعلن عن كرمها وسماحتها فقالت :

ـــ ده روح يا سوسن يأكل كل اللى نفسه فيه ، يستاهل كل خير . ده من يوم ما دخل بيتنا جانا الفرح كله والخير كله .

ولم يعجب ذلك الكلام عاطف فقال :

ـــ أمال رمياه رمية الكلاب فى السطح ليه ؟

— ٢٠ —

وضـــعت قلة فيها شمعـــة كبيرة مضـــاءة طوال ليـــلة « السبوع » فى غرفة نوم أحلام وابنها . فالشمعة المضيئة لتكون كل أيام المولود أنوارا . والقلة ليشرب فى الصباح رجل حكيم وآخر طويل العمر وثالث هادىء النفس . ليشب الوليد حكيما طويل العمر هادىء الطبع .

واستيقظ الجميع مبكرين تأهبا « للسبوع » . فلما وقعت عينا زينب على حسين قالت له :

— تعال اشرب من القله .

فسخر منها فاذا بها تقول له :

— ما فيش حد هنا نفسه أهدأ من نفسك .

ولم يستطع أن يتملص منها فقد عادته فى خفة ودل الى حيث ترقد ابنته . ورفعت الشمعة من القلة ثم قدمت له القلة وهى تقول :

— اشرب . دى ميه بزهر .

ورفع حسين القلة وشرب ، وكان سامى ومراد ونبيلة

وسوسن وعاطف قد جاءوا يشاهدون أباهم وهو يشرب ، فلما أعاد القلة الى مكانها مد سامى يده اليها ليرفعها فاذا بأمه تقول له :

ـ سيب القله يا سامى •

ونظر سامى فى انكار الى أمه فقالت نبيلة :

ـ انت عابزه يطلع غيار زيك •

فقال سامى فى انكار :

ـ بقى أنا غيار ؟

ـ ده انت تغير من هدومك •• ورتتى الويل من غيرتك •

وقال مراد :

ـ أشرب أنا ؟

فقالت أحلام لتشارك فى اللعبة :

ـ عشان يطلع مطيور زيك •

ـ الله يسامحك •

وقالت سوسن :

ـ طب هاتوا اشرب انا •

فقال مراد :

ـ عشان يطلع فتان زيك • كل حاجه يجرى ويقول الحقى يا ماما •• الحقى يا ماما •

وصمت عاطف لم يشأ أن يتعرض لألسنتهم الحداد ، وجاءت هنيهة فاذا بأحلام تقول :

ـــ والنبى نسقيها يا ماما م القله •

فقالت زينب :

ـــ لأ • ما حدش ح يشرب منها الا حماكى لما ييجى •

فقال سامى :

ـــ واشمعنى حماها يعنى ؟

ـــ عشان ياخد منه طول العمر •

فقال مراد :

ـــ ووسعان الكرش •

وابتسموا جميعا ، ولم يشأ الأب أن يقال انه سكت على هذه السخرية فقال :



ـــ عيب يا ولد .

وقالت أحلام :

ـــ لما ييجى جلال . خلوه يشرب م القله .

فقال سامى :

ـــ واشمعنى جلال ؟

فقالت أحلام :

ـــ عاقل ورزين . ياريت يطلع ابنه زيه .

وجاء جلال وأبواه فاذا بزينب تتودهم الى غرفة أحلام ، فما أن انتهوا من السلام والتحية حتى تقدمت زينب الى مصطفى علوان القلة وهى تقول له :

ـــ اتفضل اشرب .

ـــ أنا مش عطشان . كتر خيرك .

ـــ لأ ده عشان ياخد .. ياخد طبعك الحلو .

فقالت أم جلال :

ـــ هو كده ؟ طب هاتوا اشرب بقى .

وناول مصطفى زوجته القلة بعد أن شرب منها . فلما رفعتها لتشرب تبادل حسين وزينب وأولادهما نظرات استياء . وكأنما أرادت زينب أن تمحو أثر شربة حماة ابنتها فقالت وهى تدفع بالقلة الى زوج ابنتها :

ـــ خد اشرب يا جلال .

فقال وهو يرنو الى زوجته فى حب :

ــ اذا كان ولابد تشرب أحلام ، يا ريت ياخد طبعها الحلو •

وكأنما ضايق ذلك القول أمه فقالت :

ــ طبعا ، قالوا لجحا تحب مين فى العيله ، قال اللى بتنام فى حضنى كل ليله •

وتقاطر الجيران نساء وفتيات وأطفالا وغصت الشقة بهم حتى لم يعد هناك موضع لقدم • وجاءت نبيلة الى أمها وقالت :

ــ أوزع عليهم دلوقت الملبس والشمع ؟

ولمحت زينب جيهان بين الوافدات فقالت لها :

ــ ما تتعبيش نفسك ، خلى سامى ومراد وجيهان يفرقوا الملبس والشمع ••

وراح سامى ومراد يوزعان لفافات الفول السودانى والحمص وقطع الشيكولاتة ، وأخذت جيهان توزع الشمع ، فلما أعطت سوسن شمعة أبت أن تتناولها وقالت :

ــ أنا عايزه شمعه كبيره من اللى مخبياهم ماما تحت السرير •

وسمعتها نبيلة فأخذتها بعيداً وهمست فى أذنها أنها ستأخذ ما تريد بعد أن ينصرف المدعوون •

ودخلت زينب غرفة أحلام وراحت تدق بالهاون بالقرب من أذن الوليد وهى تقول :

ـــ اسمع كلام أمك .. اسمك كلام ابوك .

فقالت أم جلال منتقدة :

ـــ الكلام ده ما بطل يا ست زينب .

فقالت زينب وهى مستمرة فى دق الهاون .

ـــ لأ يا اختى ، أنا ما دقتش لهاله عشان كده بتتفزع وتتفزز من أى صوت .

ولم تكتف زينب بدق الهاون بل أتت بغربال وضعت فيه شيكولاتة وقوالب سكر ثم وضعت المولود فى الغربال وجعلت تغربله فى حنان . وخرجت به الى حيث المدعوون مكدسين فقالت أم جلال :

ـــ وايه لازمة الشيكولاته والسكر ؟

فقالت زينب :

ـــ عشان أيامه كلها تبقى حلوه .

ثم حملته ونحت الغربال بعيدا وقالت :

ـــ ولعوا الشمع .. تعالى يا أحلام .

واذا بأعواد الكبريت تتوهج واذا بالشموع تضاء وتسرع نبيلة لتطفىء الأنوار الكهربائية . وجاءت أحلام وحملت ابنها لتسير فى موكب النور فكان مشهدا يهز الأفئدة . ولاح التأثر فى وجوه حسين ومصطفى علوان وجلال . ولم يكتم مصطفى عواطفه فقال فى تأثر عميق :

ـــ الرجلين الحمر تطول العمر •

وارتفعت أصوات النساء والفتيات والأطفال :

حـــلاقاتك برجالاتك حلقه دهب فى وداناتك

وسارت أحلام تحمل الوليد ومن خلفها أمها وحماتهـــا وأختها ، وبعض النسوة والفتيات والأطفال يتدافعون حولهن وينشدون :

يارب يا ربنا تكبر وتبقى قدنا وتقيد الشمعه زينا

ووصل الموكب الصاخب الى باب الشقة وحسين ومصطفى وجلال يرقبون الأحداث فى انفعال شديد ، وما أن هب الهواء من الباب المفتوح حتى أخذت زينب المولود من ابنتها وقالت لها :

ـــ ارجعي انتى ، انتى طريه •

وخافت أحلام على ابنها فقالت لأمها :

ـــ الدنيا برد عليه •

ـــ ما تخفيشى •• أنا مكلفتاه قوى •

ولم يطمئن قلب الأم فقالت وهى مشـــفقة على وليدها :

ـــ يعنى لازم يوصل لغاية الشارع ؟

فقالت زينب :

ـــ ده راجل ، هو ح يفضل قاعد فى البيت •

وعادت أحلام الى غرفتها وهى ترتجف خوفا على ابنها • ولولا خجلها لخطفته منهن وضمته فى حنان الى صدرها •

وهبطت زينب الدرج وهى تحمل حفيدها والنسوة والفتيات والأطفال ينشدون ودوت الزغاريد . وراح الكلب ينبح من السطح دون أن يأبه له أحد •

وتدافع الأطفال فى السلم وهم يحملون الشموع . وخرج حسين ومصطفى وجلال ينظرون ؛ كانت وجوههم تترقرق بالبهجة والانشراح • ولما وصل الجميع الى باب البيت انصرف ابعضهم وعاد البعض خلف زينب وأم جلال ونبيلة •

وانفض الحفل فلم يبق فى الشقة الا أبناء حسين ومصطفى وزوجته وجلال ؛ وقالت أم جلال :

ـــ نستأذن بقى •

فقالت زينب وهى تدفعها فى رفق لتجلس :

ـــ لا والنبى •• لما ناكل لقمه سوا •

فقالت أم جلال :

ـــ معلهش اعفينا النهارده •• يوم تانى •

وضايق مصطفى علوان اصرار زوجته على الانصراف قبل أن يتناولوا عشاءهم فقال :

ـــ الست حلفت ؛ انتى عايزه تنزلى حلفانها الأرض ؟ !

— ٢١ —

ــ مش لاقيه المرنله يا ماما :

صاحت سوسن وهى تدور فى غرف التتة ثم قالت :

ــ أنا عارفه الأجازه خلصت بدرى ليه ؟

فقال عاطف وهو يبحث عن فردة الجورب تحت السرير :

ــ ما هى الأيام الحلوه دايما عمرها قصير •

وعثر على الجورب فدس رجله فيه ولبس الحذاء ، وجعل يتلفت منتبا ثم قال :

ــ فين كراسة الحســاب ؟ بقى يوم ما اخلص الواجب ما القهاش !

ولم يعثر عليها فاشتد ضيقه ، وكاد الغيظ يخنقه فقال :

ــ أنا عارف مين الى اخترع المدارس ؟ ما كانش مات قبل ما يخترعها ويريحنا •

فقال مراد وهو يرشف كوب الشاى :

ــ دى المدارس حتخليك بنى آدم •

ولم يعجب ذلك الكلام عاطف فقال له :

ـ يعنى اللى ما دخلوش مدارس مش بنى آدمين ؟ أمال ملوك زمان ازاى بقوا ملوك وهم ما دخلوش مدارس •

ووقفت زينب تصغى الى ذلك الحوار وفى يديها صينية عليها أكواب الشاى . فلما رآها مراد قال ساخرا من أخيه :

ـ تعرفى يا ماما ان ما كنتوش وديتوا عاطف المدارس كان بقى ملك •

فجاءت سوسن وقد عثرت على مريلتها وسمعت طرفا من الحوار فقالت لأمها :

ـ يعنى ايه ملك يا ماما ؟

فقالت الأم وهى تضع لهم صينية الشاى :

ـ اشربوا بلاش غلبه عشان تفطروا وتروحوا مدارسكم قبل ما تتأخروا •

وتناول عاطف كوب الشاى بعد أن رشف منه رشفة وقال .

ـ ما عندكيش بسكوت يا ماما ؟

فقالت فى تأنيب :

ـ اللى ما فى الشقه لقمه •• خد من بابا خمسه صاغ وروح اشترى لنا عيش •

فقال مراد :

ـ خد عشره صاغ وهات بخمسه عيش وبخمسه طعميه •

فقال له عاطف :

ـــ ما تروح انت ٠

وكان حسين قد خرج من غرفته فقال :

ـــ خد يا مراد العشره صاغ ٠

وأسقط فى يد مراد فذهب الى حيث وقف أبوه وتناول العشرة القروش وانصرف . وجاء سامى بعد أن اغتسل وهو يجفف شعره فقال له أبوه :

ـــ انت مش رايح النهارده يا سامى ؟

ـــ عندى محاضره الساعه حداشر ٠

واقترب سامى من أبيه وقال :

ـــ عايز تلاته جنيه ٠

ـــ ليه يا سامى ؟

ـــ اشترى الملازم اللى نازله النهارده ٠

ولما سمع الأولاد ما طلب سامى هرعت سوسن وعاطف الى أبيهما وقالت سوسن :

ـــ الناظرة قالت لنا كل واحده تجيب جنيه ٠

ـــ لنيه ؟

ـــ مساهمة فى نشاط المدرسه ٠

وقال عاطف :

ـــ وانا برضه قالوا لى هات جنيه ٠

وعاد مراد يحمل الخبز وقرطاس الطعمية . فاذا بزينب تنادي :

ــ تعالى يا نبيله قبل الطعميه ما تبرد •

ووضع مراد ما حمل على منضدة وقال :

ــ اعطى لى سندويتش يا ماما انا اتأخرت •

وتناول مراد الساندويتش من أمه وهرع نحو الباب . فاذا بأبيه يقول له :

ــ وانت جاى يا مراد هات حسين معاك •• الواد وحشنا •

وفتح مراد الباب وانصرف . والتفتت نبيلة ــ التى جاءت وقد انتفخ بطنها ــ الى أمها وقالت :

ــ بابا اتعلق بابن أحلام •

ــ يا بنتى قالوا فى الأمثال : أحب الولد ولاد الولد •

وخرج عاطف وتبعته سوسن . وجلست الأم مجاملة لابنتها نبيلة فما كانت لتأكل الا بعد أن يأكلوا جميعا ، ونادت على زوجها وابنها قالت :

ــ حسين •• سامى •• تعالوا كلوا لكم لقمه •

وأقبل حسين وسامى يشاركانهما الطعام . فقالت زينب :

ــ تاكلوا ايه النهارده ؟

فقال حسين :

ــ اللى تعملوه •

ـ اللى تعملوه •

ـ ما تدوخونبش كل يوم •• قولوا تكلوا ايه ؟

فقال سامى :

ـ بسله ورز •

ـ النهارده الاثنين ما فيش لحمه . رأيكو تحدقوا النهارده تاكلوا كشرى •

فقال سامى :

ـ لما انتى ناويه تأكلينا كشرى بتسألينا ليه ؟

كان ذلك شأنها تسألهم عما يريدون أن يأكلوا ثم تصنع لهم ما يحلو لها •

وانصرف الأب ثم سامى ولم يبق فى البيت غير زينب ونبيلة وهالة ، فقالت نبيلة لأمها :

ـ خشى انت استريحى النهارده وانا اعمل الكشرى •

فقالت زينب :

ـ أستريح من ايه ؟

ـ من دوشتهم •

ـ والله البيت من غيرهم ماله طعم . مش عارفه ح اعمل ايه لما يكبروا ويتجوزوا ويحفصف علينا البيت أنا وابوكى •

وشردت زينت مفكرة ، ولاحظت نبيلة مسحة من الأسى تكسو وجه أمها فقالت لها :

ـــ ما تفكريش فى الحكايه دى لسه بدرى •

ـــ الأيام بتجرى يا نبيلة . أنا ولدتك من عشرين سنه فاتوا زى ما يكونوا يومين • فاكره لما كنتى زى سوسن ؟ أدى انتى اتجوزتى وكلها جمعه والا اتنين وح تبقى أم •

وشردت نبيلة ولاحظت زينب سهومها فقالت لها :

ـــ الدنيا على كده •• ما تفكريش •

ودخلت الأم المطبخ وتبعتها نبيلة ، واذا بهالة تسير خلفهما تتعثر فى أرجلهما • وبعد الظهر عاد الأولاد الى البيت وقفل حسين راجعا وكان أول ما قاله :

ـــ هو مراد جه ؟

فقالت زينب :

ـــ لسه •

ـــ يبقى راح بجيب حسين •

وقبل أن يلتفوا حول الكشرى دق جرس الباب فصاحت سوسن :

ـــ مراد جه •

وهرولت الى الباب وفتحته ثم صاحت فى فرح :

ـــ جاب حسين معاه •

وقام حسين ليستقبل حفيده ونبيلة ترقبه فى عطف ، فلما وصل الى حيث كان مراد سمع سوسن تقول متوسلة :

ـ أنا اشيله •• اشيله واتنبى •

وحمل حسين حفيده وراح يداعبه •

فاذا بزينب وأبنائها جميعا يهرعون لمداعبة الطفل ، وارتفعت الأصوات :

ـ أنا اشيله •• أنا اشيله •

فالتفتت اليهم زينب وقالت :

ـ اسمعنى ده حلى ، ما كلكم بتهربوا من شيل هاله •

وأراد حسين أن يرضيهم جميعا فوضع الطفل على الأرض ، فاذا بهم يركعون على ركبهم وأيديهم حتى حسين وزينب فعلا ذلك وراح كل منهم يحاول بحركات وجهه واخراج لسانه وتلعيب حاجبيه أن يلفت نظر الطفل اليه • ورأى عاطف أن عقد الأسرة لابد أن يكتمل فأسرع الى السطح وأحضر الكلب ووضعه معهم فى الحلقة التى ضربت حول حسين الصغير •

ومر بعض الوقت وجاء جلال وقال .

ـ فين سوسه ؟

فقالت زينب :

ـ جوه مع جده •

ـ أحلام عايزاه لاحسن وحشها •

ودخل وحمل ابنه وانصرف ، وهرع عاطف وسوسن الى التلفزيون . وجاءت جيهان ودخلت تذاكر مع سامى ، وسمع صوت كلاكس سيارة فقال مراد :

ــ صاحبى جه •• أنا رايح يا ماما اذاكر معاه •

فقالت زينب :

ــ طب ما تذاكر هنا •

ــ فين ؟ •• سامى وجيهان بيذاكروا فى الأوده • السنه دى مش عايزه لعب دى الثانويه العامه •

ــ والله أنا خايفه عليك •

ــ بقى جيهان بتذاكر مع سامى وما حدش خايف عليها وخايفه على أنا أذاكر بره •

وخرج مهرولا وهبط الدرج يركب الى جوار صديقه فى السيارة وانطلقت بهما ؛ وعند شارع من شوارع القاهرة الهادئة وقفت السيارة وصعدت اليها فتـاتان ثم انطلقت السيارة والضحكات تتجاوب فى أرجائها •

وترك عاطف التلفزيون وذهب الى أبيه وقال :

ــ النهارده كان فيه روايه فى التلفزيون غريبه قوى خلصت من غير ما حد يتجوز فى آخرها •

فقالت له زينب :

ــ طب خش انت واختك وذاكروا بقى ، شايفين سامى بيذاكر ازاى ومراد خرج فى البرد ده عشان يذاكر • كبدى عليه ح يموت نفسه فى المذاكره السنه دى ••

- ٢٢ -

بخار الماء يملأ الشقة وأحلام وجلال وحسين يغدون ويروحون فى قلق ، ومن شدة قلقهم يتبادلون حمل حسين الصغير كلما هم بالبكاء ، وارتفع صوت زينب قائلة :

ــ ناولينا الميه السخنه يا أحلام .

وحملت أحلام الماء الساخن واتجهت به الى الغرفة المغلقة ؛ وسرعان ما ارتفع بكاء المولود ، فخرجت زينب وقالت :

ــ مبروك ولد .

وخرجت الدكتورة ودخل حسين وجلال وأحلام يباركون لنبيلة ، وسرعان ما خرجت أحلام يتبعها زوجها فقالت وقد ظهر الضيق فى وجهها :

ــ والنبى ابن خالك ده بايخ .

وهاجمت رأس جلال فكرة وما أسرع أن عزم على انفاذها ، فحمل ابنه وخرج لا يلوى على شىء وانطلق الى بيت ابن خاله . فلما طرق الباب فتحه له شفيق ، فما أن رأى ابن جلال حتى بش له وحمله ودخل وهو يداعبه ، فاذا بحسين الصغير يبتسم فيستشعر شفيق أن الكون كله قد أشرق .

وجلس الرجلان ولا حديث بينهما فقد كان وجود الطفل أفصح من كل كلام . فنهض شفيق وعاد يحمل شيكولاتة وقال لجلال :

ــ ياكل شيكولاته ؟

ــ بياكل •

وقدم شفيق الشيكولاتة للطفل فراح يأكلها وقد لوث فمه . فلما أتى عليها حمله شفيق وذهب الى الحمام وراح يغسل له فمه والطفل يعبث بيده فى الماء المنهمر من الصنبور •

وأحس شفيق مشاعر رقيقة • ان كل كآبة قد غسلت من صدره وانسكبت فيه عواطف ناعمة رقيقة حانية ، ولم يستطع أن يكبح جماح احساساته فقال :

ــ ابنك لطيف يا جلال •

ورأى جلال أن يطرق الحديد وهو ساخن فقال :

ــ نبيله جابت لك ولد ألطف منه •

فقال شفيق دون تفكير :

ــ هى نبيله ولدت ؟

ــ ولدت وجابت لك ولد ألطف من حسين •

ــ مش معقول •

فقال له جلال وقد دنا منه •

ــ مش تعقل بقى وتسيب عناد الأطفال ده •

ولم يحر شفيق جوابا بل ضم اليه الطفل وقبله قبلة ترجمت عن التحول الهائل الذى طرأ عليه ، فقال له جلال :

ـ طب قوم بقى نروح لها •

فقال له شفيق وهو يبتسم :

ـ يعنى مش تيجى معايا لما ابيع العربيه •

فقال له جلال فى انشراح :

ـ نويت ؟

فهز له شفيق رأسه أن نعم ، وانصرف الشابان وركبا السيارة لآخر مرة وانطلقا بها الى محل بيع وشراء سيارات وقد غادراه بدونها •

ودق جرس باب شقة حسين فهرعت سوسن وفتحت ، وما أن رأت جلال وشفيق حتى صاحت :

ـ شفيق جه يا ماما •

وخف حسين لاستقبال زوج ابنته وهو يكاد يطير من الفرح ، وجرى عاطف الى نبيلة يزف اليها البشرى • وما أن وقعت عينا حسين على شفيق حتى اغرورقت عيناه بالدموع ولم يتمالك حتى عانقه • ومسح جلال من عينيه دمعة كبيرة انحدرت على خده ، وهرع الجميع الى شفيق فرحين • انهم يصافحونه مصافحة الغائب الذى عاد • واستقبلته زينب مرحبة :

ـ أهلا •• أهلا وسهلا •• ادخل •• ادخل شوف ابنك •

ودخل شفيق . وما أن تلاقت عيناه بعينى نبيلة حتى اغرورقت عيناه بالدموع وسحت نبيلة العبرات فقالت زينب :

ــ ده مش وقت عياط .

وخطفت أحلام ابنها من أبيه وراحت تقبله لتنفس عن العواطف المكبوتة فى صدرها : فلو طاوعت نفسها لأجهشت بالبكاء .

وجاء سامى يداعب شفيق فقال :

ــ والله كبرنا وبقى لنا أولاد .

فقال له شفيق :

ــ عقبالك لما تبقى راجل زينا .

وجاء مراد وقال : ؟

ــ الجواز لذيذ قوى .

فقالت له أحلام :

ــ وانت اش عرفك ؟

وانسل مراد دون أن ينبس بكلمة ، ومالت زينب وحملت المولود وقدمته الى أبيه ، فحمله شفيق وقد انداحت رقة فى جنباته وظل يرنو اليه فى حب عميق ، فقالت له نبيلة :

ــ مش حلو ؟

فقال فى صدق :

ــ ما فيش أجمل من كده .

فقال سامى :

ـــ خنفسة شافت ولادها على الحيط ، قالت ما احلى ولادى زى اللولى فى خيط •

فقالت أحلام :

ـــ ده والنبى كله انت •

فقال سامى :

ـــ هو انا وحش كده ؟

فقالت نبيلة :

ـــ يا ريتك كنت حلو زيه •

وجاءت زينب بفنجان مغات وقدمته اليه وقالت :

ـــ اتفضل •

فأعاد شفيق ابنه الى جوار أمه وتناول الفنجان ، وقالت له زينب :

ـــ خلاص ، افضل معانا لغاية « السبوع » •

ـــ متشكر ، أنا السبوع ح اعمله فى بيتنا •

وازدرد حسين ريقه ، فما كان يحتمل حدوث ما حدث يوم « سبوع » ابن أحلام ، وما انتهى شفيق من شرب المغات حتى عاد يحمل ابنه ، ثم التفت الى حماه وقال :

ــ ح اسميه حسبن •
فقالت أحلام :
ــ احنا سبقناك •
فقال شفيق :
ــ وفيها ايه • ابنكم اسمه حسين جلال وأنا ابنى اسمه حسين شفيق •
وطغت عواطف حسين فذهب الى شفيق واعتنقه •

كان جلال وأحلام يدفعان عربة ابنهما أمامهما والى جوارهما بسير شفيق ونبيلة يدفعان عربة أخرى بها ابنهما • كان الجو لطيفا والطريق هادئا وكانت المشاعر التى تفيض بها النفوس • وساد الصمت بينهم فكل منهم كان ينعم بالانشراح الروحى الذى جعله يحس أنه يهيم فى ملكوت من لطف وسحر وجمال •

وأراد جلال أن يقطع الصمت الذى لفهم فالتفت الى شفيق وقال :

— انهين ألذ ، سواقة العربيه والا زق العربيه ؟

فدفع شفيق عربة ابنه أمامه وقال :

— زق العربيه ألذ •

فقال جلال مداعبا نبيلة :

— خلاص تيجى له أخت •

فقالت نبيلة فى تصنع :

— توبه ، كفايه واحد ، هو احنا قادرين عليه •

وقال شفيق :

ـ ده قاطع أبونيه عند الدكتور من يوم ما جه ، وعمال ما نلاقى علبة اللبن بندوخ .

وقالت نبيلة فى اشفاق :

ـ الله يكون فى عون ماما . أنا عارفه ربتنا ازاى .

ولم يعجب ذلك الكلام أحلام فقالت :

ـ أنا ح اجيب له أخ ولا أخت . لو فضل وحده ح يطلع أنانى .

فقال شفيق :

ـ أنانى أنانى بس كفايه على كده .

وقالت أحلام لأختها :

ـ الا يا نبيله لما ح تتوظفى ح تعملى فيه ايه ؟

ـ ح اسيبه عند ماما الصبح ولما ارجع ابقى آخده .

فقالت أحلام :

ـ تفتكرى الماهيه اللى ح تاخديها تستاهل المرمطه دى كلها ؟ ح تدفعى بها جزم وشربات وح تركبى بها تاكسيات .

فقال شفيق :

ـ انتى متفائله قوى ، هى فين التاكسيات دى ؟

وقالت أحلام وقد ذهبت لتغطى ابنها جيدا بينما جلال يدفع العربة :

ـــ لو الحكومه تنصف كانت قالت : الست المتجوزه ومخلفه تقعد فى البيت وندى لجوزها نص ما هيتها •

فقالت نبيلة معترضة :

ـــ وليه ماتاخودهاش هى ؟

ـــ ياخدها هو تاخدها هى المهم ان الستات اللى متجوزين ومخلفين يقعدوا يربوا أولادهم ، تربيه الأولاد أهم من الشغل اللى بيشتغلوه ده ان كانوا بيشتغلوا حاجه • دى زياده عن ان أزمة المواصلات ح تتحل . وان الدوله ح توفر الفلوس اللى بتشترى بيها كماليات وتواليتات للستات اللى بيشتغلوا ويخرجوا كل يوم •

ومرت الأيام وخرج حسين مع أحفاده ، قصد حديقة من الحدائق وسار فى يده حسين جلال وحسين شفيق وفى يده الأخرى زينب الصغرى ابنة أحلام ، انه كان سعيدا يستشعر ان شبابه قد عاد اليه وأن الدنيا تبتسم له •

ومرت الشهور وخرج جلال وزوجته وشفيق وزوجتــه للنزهة •

كان جلال قد أمسك ابنه حسين فى يد وفى يده الأخرى زينب الصغيرة وأحلام تدفع العربة فيها وليده الثالث ، وسار شفيق وقد قبض على يد ابنه فهو يخشى أن يجرى ، فحسين شفيق لا يطيق أن يمشى الهوينى . وقد دفعت نبيلة العربة وفيها مولودها الثانى ، والتفت اليها جلال وقال :

ـ البنت التالته سميها أحلام •

ـ لأ يا خويا كتايه •

ـ مالنتى نفسك فى بنت •

فقالت نبيلة وهى تضحك :

ـ دول عايزين أب سعيد وأم حديد •

فقال جلال مداعبا شفيق .

ـ خلاص ! أبوهم غنى وامهم عينى بارده عليها •

فقال شفيق :

ـ القرشين طاروا والشكوى لغير الله مذلة ، ده احنا لو جبنا التالت حنقف على باب سيدنا الحسين ونقول لله •

فقال له جلال :

ـ يا راجل قول الحمد لله • انت بتشتغل ونبيله بتشتغل •

وقالت أحلام :

ـ وبترمى اولادها على أمها •

وتصرمت أشهر وانقضى عام ، ورن الجرس فى بيت حسين • فأسرعت زينب وفتحت واذا بنبيلة قد جاءت بأولادها الثلاثة وقالت زينب لأحفادها :

ـ أهلا •• أهلا بالحلوين •

وانسلت نبيلة وهى تقول :

ـ يمكن اتأخر فى الشغل النهارده •

ـ على مهلك يا بنتى .

ـ معلهش ، أنا عارفه انهم بيتعبوكى .

ـ أبدا يا نبيله .

ودخلت زينب بعد أن حملت الصغيرة التى كانت على كتف ابنتها وقالت لحفيدها :

ـ حسين امسك ايد اخوك وتعالى .

وسارت وأجلست الطفلين وقالت لهما :

ـ خليكو هنا لما أشوف لكم كل واحد بيضه .

ودخلت الى المطبخ وهى تحمل حفيدتها وتداعبها ، وما لبثت أن سمعت جرس الباب فقالت وهى تضع البيض على النار :

ـ حاضر .. جايه .. جايه اهو .

وفتحت الباب فاذا بجيهان تحمل ابنتها على كتفها :

ـ لا مؤاخذه يا تانت نوالنبى تخلى بنتى مع اولاد نبيله لغاية ما اخلص الامتحان ، هانت آخر امتحان .. أصل جوزى مسافر امبارح .

ـ من عينى يا جيهان . قعديها معاهم .

ودخلت جيهان وأجلست ابنتها مع حسين الصغير وأخيه ، فمال حسين وقبلها .

فقالت زينب :

ـ لايقين لبعض . مش كده يا جيهان ؟

فابتسمت جيهان وقالت :

ــ خلاص يا تانت ، خدوها من دلوقت •

ــ ربنا يهنيكى بيها •

وقالت جيهان :

ــ هو سامى خرج ؟

ــ خرج من بدرى •

ــ ادعى لنا يا تانت •

ــ ربنا ينجح مقصودكم يا بنتى •

وانصرفت جيهان . وعادت زينب الى المطبخ فألفت الماء يغلى والبيض يتحرك فى الاناء من شدة البخار . فأطفأت النار وأخذت البيض وذهبت الى حيث كان الأطفال وجلست على الأرض وقشرت أول بيضة : فأخذها حسين فاذا بأخيه يستاء فقالت له :

ــ معلهش ، ح اديك البيضه اللى باقشرها دى •

ومدت ابنة جيهان يدها وقبضت على بيضة كانت فى الطبق . فاذا بها تصرخ ، كانت البيضة لا تزال ساخنة • وفزعت ابنة نبيلة فبكت لبكاء ابنة جيهان • ولما رأى حسين وأخوه بكاء أختهما انخرطا فى البكاء وراحت زينب تحاول اسكات الأطفال

الثلاثة دون جدوى . صفقت لهم .. انشالت وانحطت فى مكانها كالقرد : أصدرت أصواتا لعل الأطفال ينشغلون بها عن البكاء : صنعت كل ما فى طاقتها دون جدوى ، وظل البكاء مستمرا بل ازداد كأنما البكاء يجلب البكاء ، ونفد صبر زينب فقالت فى غضب ويأس :

ـ بقى يا ربى هم يزربوا وتيجى على راسى انا ؟ !

- ٢٤ -

مرت خمس عشرة سنة منذ زفاف أحلام ؛ وكان حسين في غرفة النوم شاردا يعجب كيف انقضت سريعا كل تلك السنين . انه سيبلغ سن الستين بعد أيام : سن التقاعد ، وهو لا يدرى ماذا ستكون حياته بعد ذلك ، وقد اعتاد أن يخرج فى الصباح ويتجه الى مكتبه ويمكث به حتى منتصف الثانية بعد الظهر ، وكثيرا ما كان يعود اليه فى المساء .

صار مكتبه قطعة منه يحز فى نفسه أن يفارقه بعد صحبة السنين الطويلة . انه وان كان جمادا الا أنه كان بالنسبة اليه أكثر حياة من كثير ممن عرفهم وممن مروا فى حياته مر الكرام . ويا طالما شهد ذلك المكتب أيام بهجته وأيام سروره وأيام ضيقه ؛ فبين جدرانه جرت أحلى الذكريات .

ولمحت زينب الأسى فى وجه زوجها فقالت له :

ــ بتفكر فى ايه يا حسين ؟

فقال حسين وهو يبتسم ابتسامة مريرة :

ــ ح يبقى عندى ستين سنه بعد اربع تيام •

فقالت زينب :

ــ ربنا يديلك طولة العمر . أبويا عاش لما بقى عنده تمانين •

ولم يكن بلوغه سن الستين هو الذى يشغله انما كان يشغله أنه لن يذهب الى مكتبه : ليتهم يسمحون له بأن يذهب اليه بعد التقاعد دون أن يتقاضى شيئا فوق معاشه • ان ما يحز فى نفسه أنه سيفقد عادته : وانه لمن الصعب أن يعتاد المرء على شىء لم يألفه من قبل بعد الستين ، فقال :

ــ ح اتحال على المعاش يا زينب •

ــ الحمد لله ، لا عندنا اللى بيعيط ولا عندنا اللى بيوقوق . خلصنا ذمتنا منهم كلهم •

ولمعت فى ذهنها فكرة فقالت :

ــ انت طول عمرك مهنينا . لازم نحتفل بك •

فقال حسين فى خوف :

ــ لأ يا زينب : مافيش لازمه •

ــ صرفت علينا كلنا ح تبخل على نفسك ؟

وتردد وأخيرا رأى ألا مفر من أن يقولها :

ــ لازم يا زينب نمسك ايدينا ؛ انتى عارفه المعاش يعنى ايه •

ــ راضيين والحمد لله ، وهو لما نحتفل بيك لازم نبعزق ،

ح نعزم الأولاد ع الغدا واللا العشا ، ويوم ما يبقوا كلهم حوالينا يبقى يوم عيد •

ــ احنا دلوقت يا زينب ما نقدرش نكفيهم عيش •

ــ الخير كتير ، والنبى لا نفرح بيك زى ما فرحتنا كلنا •

ويوم أتم الستين اجتمعت الأسرة حول المائدة ، انها لم تعد أسرة به صارت قبيلة ، ومدت المائدة حتى وصلت الى الغرفة التى كانت للبنات ، وجلس حسين على رأسها ، وعن يساره شفيق وخمسة أبناء ، وبعدهم جلست نبيلة ، وجلس سامى وبعده ولدان ثم زوجته ، ثم سوسن وابنتها وزوجها ، وعن يمينه جلس جلال وثلاثة أبناء ثم أحلام ، وبعد أحلام جلس مراد وابنه وزوجه ، ثم هالة وزوجها ، وجلس عاطف وحده فلم يتزوج بعد •

وجاءت زينب من المطبخ تحمل حلة كبيرة بها مغرفة ، فلما رآها الأحفاد صاحوا :

ــ تيتا •• تيتا •• تعيش تيتا •

وقالت زينب لتغريهم على التزام الصمت :

ــ اللى ح ياكل وهو ساكت جدو ح ياخده الملاهى •

وراحت تغرف من الحلة وتضع فى الصحاف الموضوعة أمام الجميع ؛ فاذا وصلت الى هالة قالت لها :

ـ خدى بالك من جوزك يا هاله •

واذا غرفت لمراد وابنه وزوجته قالت :

ـ أكل ابنك ومراتك يا مراد •

وغرفت لأحلام وقالت لها :

ـ مش ح اوصيكى على اولادك يا أحلام •

وغرفت لجلال وقالت :

ـ يعجبنى جلال ، مش عايز حد يأكله •

ووصلت الى زوجها فغرفت له وقالت :

ـ ربنا يخليك لنا ميت سنه •

وغرفت لشفيق ولأولاده الخمسة ولنبيلة ثم قالت لها :

ـ شدى حيلك يا نبيلة ح تبقى عيله زينا •

فقال جلال مازحا :

ـ قصدك قبيله ••

وابتسم حسين فابتسم الجميع ، وغرفت لسامى وقالت له :

ـ أوعى تاكل أكل ولادك يا سامي •

وراحت تغرف لولديه ولزوجته •

وغرفت لسوسن وهى وتقول :

ـ مين كان يصدق ان سوسن ح تكبر ويبقى لها بنت •

وقالت أحلام :

ـ اقعدى بقى يا ماما •

فقالت زينب وقد أفرغت الحلة وانطلقت صوب المطبخ :

ـ لما اجيب لكو المكرونه •

وغابت قليلا ثم عادت تحمل صاجا أشبه بصاج المكرونة فى محال السندويتشات ، وصاح الأحفاد :

ـ تيتا •• تيتا •

ـ اللى ح ياكل وهو ساكت ح ياخده جدو الملاهى •

★★★

وانطلق حسين فى رفقة أحفاده الى الملاهى ، وذهب الى الشباك وقال :

ـ انتاشر تذكره •

فنظر الرجل الى الأولاد ، ثم رمق حسين فى اشفاق وقال :

ـ كفايه تسعه •

وتناول التذاكر واتجه الى الباب • فاذا بالرجل الواقف عند الباب يلقى نظرة اشفاق على الأولاد ويرق قلبه لحسين فيأخذ منه التذاكر ، ثم ينطلق الى شباك الحجز ويعيد ثلاث تذاكر ثم يقفل عائدا الى حسين ويعطيه ثمن التذاكر التى ردت ويقول له :

ـ كفايه سته •

ويدخل الأحفاد الى الملاهى ويجرون هنا وهناك فيصيح حسين :

ــ حسين جلال .. حسين شفيق .. خلوا بالكو من اخواتكم ومن الأولاد .

فرد عليه أحدهم :

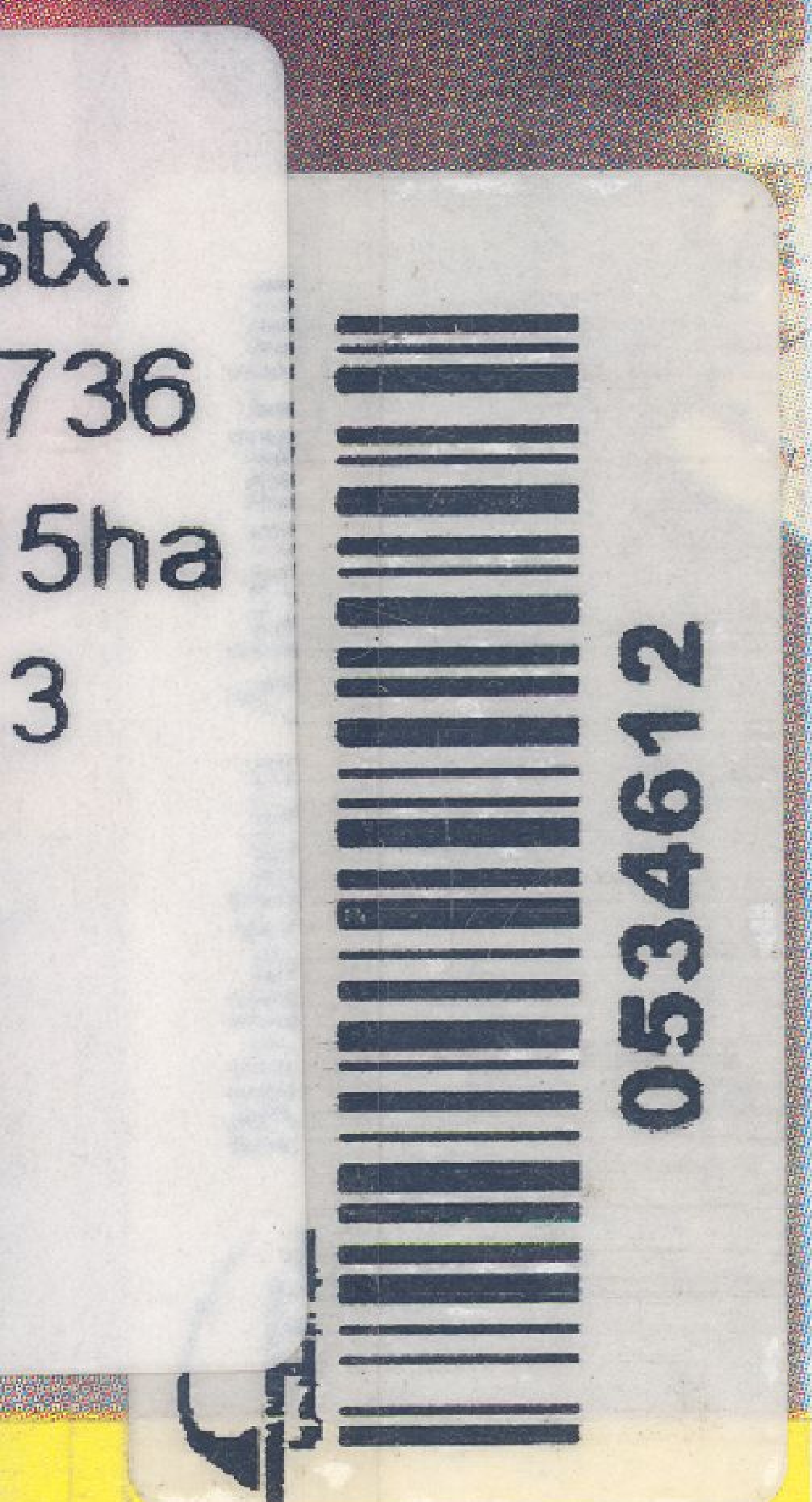
ــ استريح انت عندك وح نبقى نيجى لك .

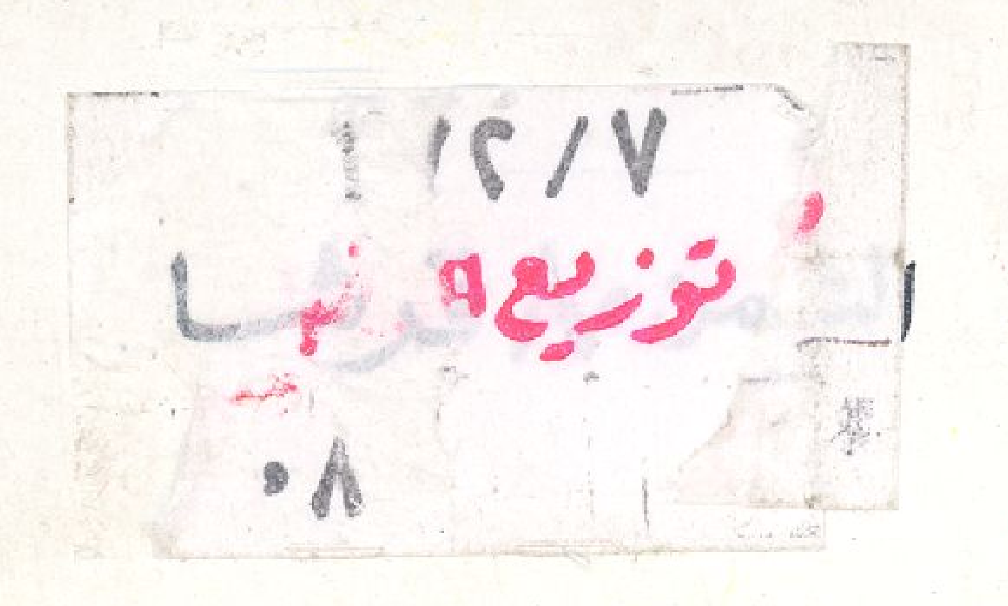
وذهب حسين وجلس على مقعد وغفا ، وانتشر الأحفاد فى الدنيا الضيقة ــ وما أسرع ما سينتشرون فى الدنيا الواسعة ، فى أرض الله .

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٣٤٢٨
الترقيم الدولى ٧ ــ ١٤٤ ــ ٣١٦ ــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة





دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه